الحب في الله

ثمراته وأسبابه

قدم له فضيلة الشيخ

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس والواعظ بالمسجد النبوي الشريف
بالمدينة النبوية المطهرة

عبده بن أحمد الأقرع

«أبو أحمد»

دار ابن رجب



الحب في الله

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٣٢٥٢
الترقيم الدولى : 5 - 052 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

كلمة تقريظ

بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه أقول لقد أهدى إليّ المحب : عبده بن أحمد الأقرع مُؤَلَّفه القيم النافع بإذن الله « **الحب في الله ثمراته وأسبابه**» فتصفحته فوجدته نعم المُؤَلف ودعوت لمُؤَلفه بخير الدنيا والآخرة . وإني أدعو طلبة العلم صغارًا وكبارًا إلى قراءة هذا الكتاب القيم النافع لما حواه من آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ وليعلموا إنه من خير الكتب العلمية ومن أنفعها، لذا فليقتنوه وليقرءوه ولْيَعْمَلُوا بما فيه وليبشروا بسعادة الدارين .

اللهم وفق لنا ذلك أجمعين وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين .

المقرظ

المحب : أبو بكر جابر الجزائري

المدرس والواعظ بالمسجد النبوي

الشريف بالمدينة النبوية الطاهرة

في ١٩/ ٩/ ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له .وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعـد :

فإنَّ أصدقَ الحديث كلامُ الله ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتُها ، وكل محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ وكلَّ ضلالةٍ فى النار .

وبعــد :

فهذه رسالة وجيزة تبين هذا الأمر العظيم، وهو الحبُّ فى الله فتذّكر الناس به وتبين لهم آثاره وحدوده حتى يكونوا أسرة متحابة أساسها قيام كل فردٍ بأداء ما يجب عليه للآخرين من حُسنِ الصلةِ والحياةِ التى يجبُ على كل امرئ مسلمٍ أن يعيشها ..

كتبتها من أجل هذا الواجب الخطير ليعيش الناسُ متحابين . فإن الحياة الحاضرة قد

جرفت الناس إلى عالم الحسِّ فنسوا كثيرًا مما يجب عليهم تجاه هذه الحياة الطيبة .
ومن ثم فقد ضمَّنتُ رسالتى هذه بعض ثمرات الحبّ فى الله عزَّ وجل، وبعض الأسباب التي تجلبُ المحبة بين المسلمين معتمدًا فى تخريج الأحاديث على كتب شيخنا الألباني – رحمه الله ـ وجمعنا به يوم الدين فى أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المؤلــف

عبده بن أحمد الاقرع

إن الإسلام يريد للمسلمين أن يحيوا سعداء فى الدنيا قبل سعادتهم فى الآخرة، ومن أعظم أسباب سعادة الدنيا أن تسودهم المحبة وتنتشر بينهم المودة حتى يكون المجتمع كله على قلب رجل واحد كما قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنينَ فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهمْ مَثَلُ الجسدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى لهُ سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى**»[1].

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشُدُّ بعضُه بعضًا**»[2].

وقال ﷺ: «**المؤمن مرآةُ المؤمن، والمؤمنُ أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيْعتَه، ويحُوطُه من ورائه**»[3].

وقال ﷺ: « **المؤمنُ من أهل الإيمان بمنزلةِ الرأس من الجسد، يألم المؤمنُ لأهل الإيمان، كما يألم الجسدُ لما فى الرأس**»[4].

وقال ﷺ: « **المؤمنونَ كرَجلٍ واحدٍ، إن اشتكى رأسهُ، تداعى له سائرُ الجسد بالحمّى والسَّهر**»[5].

وقال ﷺ:«**المؤمنون كرجلٍ واحدٍ، إن اشتكى رأسه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عيْنُه اشتكى كلُّه**»[6].

فهذه الأُخوة التى أُمرنا بها ليست أخوة في اللسان فحسب، ولكنها أخوة عميقة كامنة في النفوس والقلوب غرسها إخلاص الودّ، وثمرتها المعاملة الحسنة.

١ - مختصر مسلم:[١٧٧٤]،وصحيح الجامع:[٥٨٤٩]، والصحيحة:[١٠٨٢].
٢ - مختصر مسلم: [١٧٧٣]، وصحيح الجامع : [٦٦٥٤].
٣ - صحيح الجامع: [٦٦٥٦]، والصحيحة: [١١٣٧].
٤ - صحيح الجامع: [٦٦٥٩]، والصحيحة: [٩٢٦].
٥ - صحيح الجامع: [٦٦٦٧]، والصحيحة: [١١٣٨].
٦ - صحيح الجامع: [٦٦٦٨].

ومن ثم فإن أُخوة الدِّين أعلى من النسب والقرابة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠].

وهي أخوة إيمانية قوية لا تزيدها الأيام إلا قوة ورسوخًا وقربًا. قالﷺ : «المسلم أخو المسلم»[1] وقد حث الله عزَّ وجل على الترابط والتواد والتراحم ونبذ الفرقة والقطيعة فقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهَّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ﴾ [آل عمران :١٠٢ -١٠٣].

وحذَّر سبحانه وتعالى من التفرق والاختلاف. فقال سبحانه: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما-: يوم تبيَضّ وجوه أهل السنة والجماعة وتسودّ وجوه أهل الفرقة والضلالة.[2] وقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ(١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ(١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ الله مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى:١٣-١٥].

---

١ - صحيح الجامع: [٦٧٠٤]، والصحيحة: [٥٠٤].

٢ - تفسير ابن كثير: [١/ ٣٩٠].

فأُمَّةُ الإسلام أمةٌ واحدة لا يعتريها التفريق والانقسام، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥٢].

فالمحبة في الله من أوثق عرى الدِّين، والطريق إلى العبادة، والتقرب إلى الله عزَّوجل.

من أجل ذلك جعل الله المحبة بين المسلمين من مكملات الإيمان. وعلى هذا أقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق. فقال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفْسي بيدِهِ لا تَدخلونَ الجنَّةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا أو لا أدلكم على شيءٍ إذا فَعلتموهُ تَحاببتم أفشُوا السلامَ بينكم**»[١].

وقال ﷺ : « **من أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد أستكملَ الإيمان**»[٢]. وفي هذا دليل على أنَ المحبة من كمال الإيمان، وأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يحب أخاه في الله ولله.

وللحب في الله ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة

* منها : أنه من موجبات دخول دار السلام.

دار السلام، دار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، دار جنانها تجري من تحتها الأنهار، دار قصورها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، طينها المسك الأزفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وخيامها اللؤلؤ المجوف، هى -والله - نور يتلألأ، وريحانة تهتز، ونهر مطرد، وفاكهة وخضرة وزوجات حسان. فيها العباد المنعمون الذين يأكلون ولا يتمخطون، ولا

١- مسلم : [٥٤]، وصحيح الجامع: [٧٠٨١]، والإرواء: [٧٧٧].
٢ـ صحيح الجامع: [٥٩٦٥]، والصحيحة : [٣٨٠].

يبولون، بل مسك يرشح، فيها المنعمون الذين يضحكون ولا يبكون، ويقيمون ولا يظعنون، ويحيون ولا يموتون، فيه الوجوه المسفرة الضاحكة المستبشرة، فيها الجمال المبين، والحور العين، فيها النعيم الدائم، بل كل شيء باسم، فيها يرفع الحجاب فينظر العباد إلى وجه العزيز الوهاب، فيها- يا عباد الله – مالا عَيْنٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. الجنَّة... تلك الغاية الكريمة التى ترنو إليها العيون الحالمة، وتهفوا إليها الأرواح المشوقة فى كل زمان ومكان.

قال الله تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ(٦٧) يَاعِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ(٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ(٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ(٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف : ٦٧-٧٣].

* ومنها: أنه يقي صاحبه من الحرِّ يوم القيامة.

ومعلوم أن يوم القيامة يوم عسير، وشرّه مستطير. قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين:٦] قال ﷺ في تفسيرها: «يوْمُ يَقُوْمُ أحَدُهم في رَشْحِهِ إلى أَنْصافِ أُذُنَيْه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[١].

وعن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيل». قَالَ سُلَيْمُ بنُ عَامرٍ: فَوَالله لا أدري ما يَعْني بالميل: أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أم المِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قال: « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فى العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكونُ إلى كَعْبيه، ومِنْهُمْ

---

١ – متفق عليه: البخاري: [٤٩٣٨]، مسلم: [٢٨٦٢].

مَنْ يَكُونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ منْ يَكونُ إلى حِقْوَيْهِ*، ومِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجامًا» قال: وَأَشَارَ رسُولُ الله ﷺ بِيدِهِ إلى فيه[١].

زحام شديد، والشمس فوق الرءوس، وجهنم بالموقف محيطة، وليس للإنسان مكان يرتاح فيه أو يأوي إليه، ليس له إلا موضع قدمه، وقد شخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وأصابهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون. فتصور- أخي- وقوفك مفردًا عريانًا. عن ابن عباس، رضيَ اللهُ عنهما، قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بمَوْعِظةٍ فقال :**«يا أيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ مَحْشُورُون إلى الله تَعَالى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً *»**[٢] ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤] وقد أدنيت الشمس من رءوس الخلائق فبينما أنت على تلك الحالة المزعجة اشتد الكرب والوهج من حرِّ الشمس ولا ظل لأحد إلا ظل رب العالمين، والسعيد من أظله الله بظله قال رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»** وذكر منهم : **« ورجلان تحَابَّا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه»**[٣] وهذا الفضل المذكورفى الحديث يعم الرجال والنساء فالمتحابات فى الله من النساء داخلات فى ذلك.

والمعنى: أنهما جرت بينهما محبة، لكنها محبة في الله، لا في مالٍ، ولا جاهٍ، ولا نسبٍ، ولا أي شيء، إنما هو محبة الله عزَّ وجل، رآه قائمًا بطاعة الله، متجنبًا لمحـــارم الله، فأحبه من أجل ذلك. و« **اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» يعنى اجتمعا عليه في الدنيا وبقيت المحبة بينهما حتى فرق بينهما الموت وهم على ذلك.

---

* هما معقد الإزار والمراد هنا ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه.

١ - مسلم: [٢٨٦٤]، وصحيح الجامع:[٢٩٣٣]، والصحيحة[١٣٨٢].

* غرلاً : الغرلة : القلفة التي تقطع من جلدة الذكر، وهو موضع الختان، أيْ : غَيْرَ مَخْتُونِينَ.

٢- البخاري: [٦/ ٢٧٥و٨/ ٢١٥]، ومسلم: [٢٨٥٩]، وصحيح الجامع:[٨٠٤٣].

٣ - متفق عليه: البخاري [١٤٢٣،٦٦٠]، ومسلم: [١٠٣١]، وصحيح الجامع: [٣٦٠٣]، والإرواء: [٨٨٧].

وفي هذا إشارة على أن المتحابين في الله لا يقطع محبتهم في الله شيء من أمور الدنيا، وإنما هم متحابون في الله لا يفرقهم إلا الموت. وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي، ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة، أو روح واحد حل في أجسام متعددة.

هذه الثمرة من الحبِّ ليست شعارًا أجوفَ ولكنها إخاءٌ روحيٌ وتعاقدٌ على الوفاء بتعاليم الإسلام وتحكيم شرائعه وإبلاغ هدايته. في مجتمع الحبِّ في الله المُلتقي على شعائرِ الله يقومُ إخاءُ العقيدةِ مقامَ إخاءِ النسبِ، صلتُهُ النسبِ محكومةٌ بحقائقِ الإسلام ومناهجه. قال الله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

إخاءٌ خالصٌ لله وودٌ قائمٌ على الإيمان بالله، وترابطٌ يشدُّهُ حبلُ الله ومِنّة منه سبحانه: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ(٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

وهذا الحبُّ كما يكون بين الإخوان والرفاق المتعاصرين فإنه يحملُ طابعَ الاستمرار والبقاءِ مابقي الإيمانُ فلا يقتصرُ هذا الحبُّ على أبناء الجيل، ولكنه حبُّ الخلفِ الصالحِ للسلفِ الصالح، فتحسُّ الأمةُ برابطةٍ علويةٍ تجمعُها بِسَلَفِها وتشدُّها إليها، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[الحشر: ١٠].

وقال ﷺ: « إنَّ الله تعالى يقولُ يومَ القيامة: أين المتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أُظِلُّهم في ظلِّي يوم لا ظِلَّ إلا ظِلِّي»[١].

* ومنها: أنه يأمن صاحبه من الفزع الأكبر.

وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء قد أمَّنهم الله مما يخافون. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من عباد الله لأناسًا ما هُمْ بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يَغْبِطُهُم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامَةِ بمكانِهِمْ من الله» قالوا يارسولَ الله: فخبِّرْنا مَنْ هُمْ ؟ قال: « هُم قومٌ تحابُّوا بِرُوح الله على غَيْرِ أرْحام بيْنَهُمْ، ولا أَمْوالٍ يَتَعاطونَها، فوالله إنَّ وجُوهَهُم لنورٌ، وإنَّهم لعلى نُورٍ، ولا يَخافُونَ إذا خافَ الناسُ، ولا يَحْزنُونَ إذا حَزِنَ الناسُ» وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].[٢]

* ومنها: ذوق حلاوة الإيمان.

وحلاوة الإيمان تفوق كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شيء، يجد انشراحًا في صدره، رغبة فى الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حُرمها.

قال رسول الله ﷺ: « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَد بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللهُ ورَسولُهُ أحبَّ إليه مِمّا سواهُما، ومَنْ أحبَّ عبْدًا لايُحِبُّهُ إلا لله، وأن يكرهُ أنْ يعودَ في

---

١ - مسلم: [٢٥٦٦]، وصحيح الرغيب: [٣٠١١].

٢ - صحيح الترغيب: [٣٠٢٦].

الكفرِ بعدَ أن انقذَهُ الله منه، كما يكرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النار»[١].

وفي روايـة: « ثلاثٌ منْ كُنَّ فيه وَجَد حلاوَة الإيمانِ وطَعْمَهُ: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ في الله ويُبْغضَ في الله، وأن توقدَ نارٌ عظيمةٌ فيقَعَ فيها، أحبَّ إليه مِنْ أنْ يُشرك بالله شيئًا».

وقال ﷺ: « مَنْ سَرَّهُ أنْ يَجِدَ حلاوةَ الإيمانِ، فلْيُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله»[٢].

*** ومنها: الظفر بمحبة الله.**

قال رسول الله ﷺ: « ما تحابَّ رجلانِ في الله إلا كان أحبَّهما إلى الله عزَّ وجلَّ أشدُّهما حبًّا لِصاحِبِه»[٣].

وعن أبي إدريس الخَولانيِّ رَحِمَهُ اللهُ قال : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمشْقَ، فَإذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا وَ إذَا النَّاسُ مَعهُ، فإذَا اخْتلَفُوا في شَيءٍ، أَسْنَدُوهُ إلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيه، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه، فَلَمَّا كَانَ منَ الْغَدِ، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَني بالتَّهجير، ووَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضى صلاَتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ منْ قِبَلِ وَجْهِـهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، ثُـمَّ قُلْتُ : وَالله إنِّي لأحبُّكَ لله، فَقَـالَ : آلله؟ فَقُلْتُ: الله، فَقَال : آلله ؟ فَقُلْتُ : الله، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ ردَائي، فَجَذَبني إلَيْه، فَقَالَ : أَبْشِرْ، فَإنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول :«قالَ اللهُ تعالى: وَجَبَتْ محبَّتِي للْمُتَحابِّينَ فِيَّ، والمُتَجالِسِينَ فِيَّ، والمُتَزاورِينَ فِيَّ، والمُتباذِلِينَ فِيَّ » [٤].

معنى قوله« هَجَّرْتُ » أيْ: بكَّرْتُ.

---

١ - متفق عليه: البخاري: [١/ ٥٨،٥٦]، ومسلم: [٤٣]، وصحيح الترغيب:[٣٠١٠].

٢- صحيح الترغيب: [٣٠١٢].

٣- صحيح الترغيب : [٣٠١٤].

٤ - الموطأ [٢/ ٩٥٣]، وأحمد فى المسند [٥/ ٣٢٨]، وصحيح الترغيب : [٣٠١٨].

« آللهِ فَقُلْتُ : اللهِ » الأوَّلُ بهمزةٍ ممدودةٍ للاستفهام والثاني بلا مدٍ.

وعن أبي مسلم قال :

قلتُ لمعاذٍ : والله إنِّي لأُحبُّكَ لغير دُنْيا أرْجو أنْ أُصيبَها منك، ولا قرابَةٍ بيني وبينَك، قال : فلأيِّ شيءٍ ؟ قلتُ: لله، قال : فجَذَب حبوتي، ثمَّ قال : أبشِرْ إنْ كنتَ صادقًا، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

« **المتحابُّون في الله في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، يَغْبطُهُم بِمكَانِهم النبيُّونَ والشُّهداءُ** ».

قال : ولقيتُ عبادةَ بنَ الصامتِ فحدثتُه بحديث معاذ، فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ عن ربِّه تبارَك وتعالى :

« **حَقَّتْ مَحبَّتي على المتحابِّين فيَّ، وحَقَّتْ مَحبَّتي على المتَناصِحينَ فيَّ، وحَقَّتْ مَحبَّتي على المُتَباذِلينَ فيَّ، هُمْ على مَنابرَ مِنْ نورٍ يَغْبِطُهُم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ والصِّديقُونَ** »[1]

معنى : «حَقَّتْ » أي : وجبت.

وعن شرحبيل بن السَّمْط :

أنه قال لعمرو بن عبسة : هل أنتَ مُحدِّثي حديثًا سمعتَهُ مِنْ رسولِ الله ﷺ ليسَ فيه نسيانٌ ولا كَذِبٌ ؟

قال : نَعْم، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ :

«**قال الله عزَّ وجلَّ : قد حَقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يتحابُّونَ مِنْ أجْلي، وقد حَقَّتْ مَحبَّتي للَّذينَ يَتَزاوَرونَ مِنْ أجْلي، وقد حَقَّتْ مَحبَّتي للَّذين يَتباذَلون مِنْ أَجْلي، وقد**

---

١ - صحيح الترغيب : [٣٠١٩].

حَقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يَتصادَقون مِنْ أجلي »(١).

فالحب في الله ولله من موجبات محبة الله للعبد، وإذا أحبّ الله عبدًا من عباده وفقه وهداه وسدّدّ خطاه، قال الله تعالى في الحديث القدسي :

« وما يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحبَّه، فَإذا أحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ به، وبَصره الذي يُبصِرُ به، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتي يمْشي بها، وَإنْ سألني أعْطيْتَه، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنه »(٢)

والمعنى : أن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا سخَّر جوارحه لطاعته، فلايسمع إلا الخير، ولايرى إلا المباح، ولا تمتد يده إلا إلى الخير، ولاتسعى رجله إلا إلى الطاعة.

وإذا أحبَّ اللهُ عبدًا لا يلقه في النَّار.

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«**والله، لايُلقي اللهُ حبيبهُ في النَّارِ** »(٣).

* ومنها: أنه أوثق عُرى الإسلام.

قال رسول الله ﷺ : « **إن أوثق عُرى الإسلام: أن تُحِبَّ في الله، وتُبغِضَ في الله**»(٤). وعلى المرء أن ينتبه لهذا انتباهًا شديدًا، فإن حظوظ النفس والشهوات تتدخل في هذا البغض تدخلاً شديدًا، فقد يكون الشخص حاقدًا على شخص لأمور دنيوية محضة ويزين له الشيطان سوء عمله ويزيّن له أن هذا البغض إنما هو في الله ولله فيقع حينئذ في المحذور.

---

١ - صحيح الترغيب : [٣٠٢١].

٢ - البخاري : [٦٥٠٢] في الرقاق، باب التواضع [٣٤٠/ ١١].

٣- صحيح الجامع : [٧٠٩٥]، والصحيحة : [٢٤٠٧].

٤ - صحيح الجامع: [٢٠٠٩].

فلا يكره بعضكم بعضًا من أجل الدنيا، ولا يكره بعضكم بعضًا من أجل المصالح، ولا يكره بعضكم بعضًا من أجل المطامع والأهواء ما دام الرجل مسلمًا صالحًا تقيًا ورعًا مجتهدًا في طاعة الله فمحبته واجبةٌ عليك، وبغضُه محرّمٌ عليك، والله تعالى حسبه. قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ**»[١]

معنى «آذَنْتُهُ»: أعْلمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ له.

وعن جُنْدُبِ بنِ عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **منْ صلَّى صلاةَ الصُّبْحِ، فهو في ذِمَّةِ الله، فلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ منْ ذِمَّتِهِ بشَيءٍ، فإنَّهُ منْ يَطْلُبْهُ منْ ذِمَّتِهِ بشَيءٍ، يُدْرِكْهُ، ثمَّ يَكُبَّهُ على وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ**»[٢].

معنى: « في ذمة الله» أي: في حفظه

معنى: «يكُبَّهُ»: يلقيه على وجهه في نار جهنم.

فلا يجوز أن تكره صالحًا، ولا يجوز أن تبغض مؤمنًا تقيًا. وإلا فأنت مُعلَنٌ بحرب الله عزَّ وجل.

* ومنها: الفوز بكرم الله:

عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما أحبَّ عبدٌ عبدًا لله إلا أكرمهُ اللهُ عزَّ وجلَّ**»[٣].

---

١ - البخاري: [١١/ ٢٩٧،٢٩٢].

٢- صحيح الجامع: [٦٣٣٩]، وصحيح الترغيب: [٤٥٩].

٣- صحيح الجامع : [٦٣٣٩]، وصحيح الترغيب : [٤٥٩].

*** ومنها: أنه يكمّـل الإيمان:**

عن أبى أمـامـة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكملَ الإيمان**»[1].

ومنها: المتحابون فى الله على منابر من نور.

عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « **قال الله عَزَّ وجَلَّ: المُتحابُّونَ في جَلالي، لَهُمْ مَنَابِرُ منْ نُورٍ يغْبِطهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهدَاءُ**»[2].

*** ومنها: المتحابون فى الله جلساء الله.**

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: « **إن لله جُلَساءَ يومَ القيامَة عن يمين العرشِ، وكلتا يدي الله يمينٌ، على منابرَ من نورٍ، وجوهُهم من نور، ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ ولا صديقين**».

قيل: يا رسول الله: من هم؟ قال:« **هم المتحابون بجلالِ الله تبارك وتعالى**»[3].

*** ومنها: المتحابون في الله وجوههم نور.**

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لَيَبْعَثَنَّ الله أقْوامًا يومَ القيامةِ في وُجوهِهِمُ النورُ، على منابرِ اللُّؤْلُؤِ، يغْبطُهُم الناسُ، لَيْسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ**».

قال: فَجثَا أعْرابيٌ على رُكْبَتيْهِ، فقال: يا رسول الله: جَلِّهِمْ لنا نَعْرِفْهُمْ؟ قال:

١ - صحيح الجامع: [٥٩٦٥]، والصحيحة: [٣٨٠].
٢- صحيح الترغيب: [٣٠١٩].
٣ - صحيح الترغيب: [٣٠٢٢].

«هُم المتحابُّونَ في الله من قبائلَ شتَّى، وبلادٍ شَتَّى يَجْتمِعونَ، على ذِكْرِ الله يَذْكُرونَهُ»(١)

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: « **يا أيها الناس: اسمعوا، واعقلوا، واعلموا أن لله عزَّ وجل عبادًا ليسوا بأنبياءَ ولا شهداء، يَغْبِطُهم النبيون والشهداءُ على منازلهم وقربهم من الله**».

فجثا رجلٌ من الأعرابِ من قاصيةِ الناسِ، وألوى إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله: ناسٌ من الناسِ ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ، يغبطهم الأنبياءُ والشهداءُ على مجالسهم وقربهم من الله، انْعَتْهم لنا، جلّهم لنا - يعنى صفهم لنا، شكِّلْهم لنا- فسُرَّ وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ:

« **هم ناس من أفناءِ الناس ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحامٌ متقاربةٌ، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامةِ منابرَ من نور فيجلسون عليها، فيجعل وجوهَهم نورًا، وثيابَهم نورًا، يفزعُ الناس يومَ القيامةِ ولا يفزعون، وهم أولياءُ الله لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون**»(٢).

معنى « **أفناء**»: لايعلم من هم، « **والنوازع**»: الذى ينزع إلى أهله وعشيرته أي: يشتاق ويحن.

* ومنها: أن يحشر المحبّ مع من أحبَّ.

عن أنس رضي الله عنه : أنَّ رجلاً سألَ رسولَ الله ﷺ : متى الساعةُ ؟

قال: « **وما أعْدَدْتَ لها ؟**».

قال: لاشيء، إلا أنِّي أُحِبُّ الله ورسولَهُ. فقال: «**أنتَ معَ مَنْ أحْبَبْتَ**».

١- صحيح الترغيب: [٣٠٢٥].

٢- صحيح الترغيب: [٣٠٢٧].

قال أنسٌ: فَما فَرِحْنا بشيءٍ فَرَحَنا بقولِ النبيِّ ﷺ: «**أنتَ معَ مَنْ أحْبَبْتَ**».

قال أنسٌ: فأنا أُحبُّ النبيَّ ﷺ، وأبا بكرٍ وعُمَرَ، وأرْجو أن أكونَ مَعَهمْ بِحُبِّي إيَّاهُم [وإنْ لمْ أَعْمَلْ عَملَهُم] [1].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال:

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسولَ الله: كيفَ ترى في رجلٍ أحبَّ قومًا ولَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المرءُ مع مَنْ أحبَّ**» [2].

وعن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ثلاثٌ هُنَّ حَقٌّ: لا يَجْعَلُ الله مَنْ لَهُ سَهْمٌ في الإسْلامِ كَمَنْ لا سَهْمَ لَهُ، ولا يَتولى الله عبْدًا فيُولِّيه غَيْرَهُ، ولا يُحبُّ رجلٌ قوْمًا إلا حُشِرَ مَعَهُمْ**» [3].

وعن عائشة رضيَ الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«**ثلاثٌ أحْلِف علَيْهِنَّ: لا يَجعَلُ الله مَنْ له سَهْمٌ في الإسْلامِ كَمَنْ لا سَهْمَ لهُ، وأسْهُمُ الإسْلامِ ثَلاثَةٌ: الصلاةُ، والصومُ، والزكاةُ، ولا يَتولَّى الله عبْدًا في الدنيا فيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، ولا يُحِبُّ رجلٌ قومًا إلا جَعَلَهُ الله مَعَهُمْ**» [4].

فاحرص – أخي الحبيب على حُبِّ الصالحين ومجالستهم، فإن الصالحين كانوا يتوسَّلُون إلى الله بحبِّ الصالحين أن يحشرهم معهم في الآخرة.

عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: جاء أعرابي جهوريّ الصوت فقال: يامحمد، الرَّجل يحب القومَ ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ:

---

١ – البخاري ومسلم، وهو فى صحيح الترغيب رقم: [٣٠٣٢].

٢ – البخاري ومسلم، وهو فى صحيح الترغيب رقم: [٣٠٣٣].

٣– صحيح الجامع: [٣٠٣٧].

٤ – صحيح الجامع: [٣٠٣٩].

« المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله، والله إنك لأحبّ إليّ من نفسي، وإنك لأحبّ من أهلي، ومالي، وأحبّ اليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنَّة رُفعت مع النبيين، وإني إذا دخلتُ الجنَّة خشيتُ أن لا أراك، فلم يردّ عليه النبي ﷺ، حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية : ﴿وَمَنْ يُطِعْ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء :٦٩].

ولذلك كان الإمام الشافعي – رحمه الله يقول :

أحبُّ الصالحين ولستُ منهم لعلّي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من بضاعتُه المعاصي وإن كنا سويًّا في البضاعة

وكان الصالحون يسألون اللهَ من فضله أن يرزقهم صُحبة الصالحين في الدنيا وفي الآخرة، فها هو الخليل عليه السلام يقول : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء:٨٣].

وها هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام يقول : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

وسليمان بن داودَ عليهما السلام يقول : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

---

١ – متفق عليه : البخاري : [١٠/ ٤٦٢]، ومسلم : [٢٦٤٠] وهو في صحيح الجامع رقم : [٦٦٨٩].

الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل :١٩].

ولاشك أن المؤمن يألفُ ويُؤلفُ. فقد قال رسول الله ﷺ: « **المؤمنُ يَألفُ ويُؤلفُ، ولا خيرَ فيمن لا يألف ولا يُؤلَفُ، وخيرُ الناس أنفعهم للناس**»[١].

وقال ﷺ : « **الناسُ مَعَادِنٌ كمَعَادِنِ الذَّهَبِ والفضَّةِ، خيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا، والأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدةٌ، فما تَعَارَفَ مِنْها، ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْها، اخْتَلَفَ**» [٢].

قال ابن عبد السلام: المراد بالتعارف والتناكر : التقارب في الصفات والتفاوت فيها، لأن الشخص إذا خالفتك صفاته، انكرته، والمجهول ينكر لعدم العرفان، فهذا من مجاز التشبيه، شبه المنكر بالمجهول والملائم بالمعلوم. وفي الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة عن ذي فضل وصلاح ينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته، فيتخلص من الوصف المذكور، وكذا عكسه.[٣]

* **ومنها : المتحابون في الله يشفع بعضهم لبعض يوم القيامة،** كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ ﴾ [الدخان : ٤١-٤٢] أي: فإنه يغني بعضهم عن بعض وينفع بعضهم بعضًا، ويشفع بعضهم لبعض، كما في حديث الشفاعة في مرور الناس على الصراط قال ﷺ : «**فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِيحِ وَكَالطَّيْرِ وكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ والرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**

---

١ - صحيح الجامع : [٦٦٦٢]، والصحيحة: [٤٢٦].

٢- مسلم : [٢٦٣٨]، وصحيح الجامع : [٦٧٩٧].

٣- رياض الصالحين : ص١٧٨ ، بتحقيق شيخنا – الألباني – رحمه الله.

لله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإخْوَانِهِم الَّذينَ في النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا: كانُوا يَصُومونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إلىَ نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإلى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثيرًا ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أحَدًا ثُمَّ يقولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثيرًا ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا وكانَ أَبُو سَعيدٍ الخدريُّ يقولُ إنْ لَمْ تُصَدِّقُوني بِهَذَا الحَديثِ فاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠] فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: شَفَعَتِ الملائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خيْرًا قَطْ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ في أفواهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَياةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ألا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إلى الحَجَرِ أَوْ إلى الشَّجَرِ مَا يَكونُ إلى الشَمْسِ أُصَيْفَرُ وأُخَيْضِرُ وما يكونُ منْهَا إلى الظلِّ يَكونُ أبيضَ » فَقَالُوا يا رَسولَ الله كأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بالبادية قال :« فَيَخْرُجُونَ كاللُّؤْلُؤِ في رقابِهِمُ الخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الله الَّذينَ أَدْخَلَهُمُ الله الجنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ولا خيرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولونَ : رَبَّنَا أعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العالمين ؟ فَيَقولُ : لَكُمْ عِنْدي أَفْضَلَ مِنْ هذَا فَيَقُولونَ : يا رَبَّنَا أيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَايَ فَلا

أَسْخَطُ عَلَيكُم بَعْدَهُ أَبَدًا» [1]

ومن هنا قيل : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة.

ومن ثم فإنه يجب على الإنسان أن يسعى لكل سبب يوجب المودة والمحبة بين المسلمين، وها هي طائفة من الأمور التى تجلب المودة والمحبة.

*****

١- متفق عليه البخاري : [٤٢٠، ٤٢٢/١٣]، مسلم : [١٦٧، ١٧١ /١]، وهو فى صحيح الترغيب رقم : [٣٦١١].

الإيمان والعمل الصالح

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم : ٩٦].

وهذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن جعل لهم ودًّا أى : محبة ووِدادًا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض.

ويشهد لذلك قول النبي ﷺ :

« إنَّ الله تعالى إذا أحَبَّ عبدًا دعا جبريلَ فقالَ : إني أحبُّ فُلانًا فأحبهُ، فيُحبهُ جبريلُ، ثمَّ يُنادي في السماءِ فيقولُ: إنَّ الله تعالى يحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ لهُ القبولُ في الأرضِ» [1] وإنما جعل الله لهم ودًّا، لأنهم ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبائه.

ومعنى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾.

أى : آمنوا بقلوبهم، ويتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ومعنى: ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي بجوارحهم. فشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأصوله، وفروعه الظاهرة والباطنة، وقد جمع الله هذا في قوله تعالى :
﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

١- مختصر مسلم : [١٧٧١]، وهو في صحيح الجامع رقم : [١٧٠٥].

صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧].

فالإيمان : قول باللسان وعمل بالجوارح.

قال الحسن : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ماوقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبل منه، ومن قال خيرًا وعمل شرًّا لم يقبل منه.[1]

*****

١ - فتح المجيد : ص ٦٠.

إفشـــاء الســـلام

رغبَّ النبيُّ ﷺ فى إفشاء السلام، وبين أنه يغرس المحبة، ويقوي الإيمان. فقال عليه الصلاة والسلام: « **والذي نفسي بيده، لا تَدخلونَ الجنَّة حتى تُؤمنوا، ولا تُؤمنوا حتى تَحابُّوا، أولا أدُلّكم على شيءٍ إذا فعلتموهُ تَحاببتم ؟ أفشُوا السلام بينكم**»[1]

وعن ابْنِ الزبيرِ رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :« **دَبَّ إليْكُم داءُ الأُمَم قَبْلَكُم، البَغْضَاءُ وَالحسَدُ، والبغضاء: هيَ الحالِقَةُ، ليسَ حالِقَةَ الشعَرِ، ولكنْ حالِقَةُ الدين، والذى نفْسي بيده لا تَدْخلونَ الجنَّةَ حتى تُؤمِنوا، ولا تؤْمنوا حتَّى تحابَّوا، ألا أُنبِّئُكُم بِما يُثَبِّتُ لكم ذلك ؟ أَفْشوا السلامَ بَيْنَكُم** »[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال :« **والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنَّة حتى تُسلموا، ولا تُسلموا حتى تحابّوا، وأفشوا السلام تحابوا، وإياكم والبغضة، فإنها هي الحالقة، لا أقول لكم : تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين** »[3]

*** ولإفشاء السلام ثمرات : منها :**

أنه من أسماء الله :

قال ﷺ : « **إنَّ السلامَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى وضعه الله فى الأرضِ، فأفشوا السلام بينكم**»[4].

وقال ﷺ : « **إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم**

١- مسلم : [٥٤]، وصحيح الجامع : [٧٠٨١]، والإرواء: [٧٧٧].

٢- صحيح الترغيب : [٢٦٩٥].

٣ - صحيح الأدب المفرد : [٢٦٠].

٤- صحيح الأدب المفرد: [٩٨٩]، والصحيحة: [١٨٤،١٦٠٧].

فليست الأولى بأحق من الآخرة»[1].

سبب الأمن : عن البراء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :« أَفْشوا السلام تُسْلَموا »[2].

* من أسباب دخول دار السلام [الجنَّة] :

عن أبي يوسف عبد الله بن سلامٍ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :« يا أيُّها الناسُ : أَفْشوا السلامَ، وأطْعِموا الطعامَ، وصلوا الأرحامَ، وصَلُّوا باللَّيْلِ والناسُ نِيامٌ، تَدْخُلوا الجنَّةَ بِسَلامٍ »[3].

وعن أبي شُرَيْح رضي الله عنه أنَّه قال :

يارسولَ الله ، أَخْبِرْني بشَيء يوجِبُ لي الجنَّةَ ؟ قال :« طِيبُ الكَلامِ، وبَذْلُ السَّلامِ، وإطْعامُ الطَّعامِ »[4].

* حق واجب للمسلم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:« حقُّ المسلم على المسْلِم ستٌ ».

قيلَ : وما هُنَّ يارسولَ الله ؟ قال :

« إذا لَقِيتَهُ فسلِّمْ عليه، وإذا دعَاك فأَجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحكَ فانْصَحْ لَهُ، وإذا

١- البخاري في الأدب المفرد: [١٠٠٧، ١٠٠٨]، وأبو داود: [٥٢٠٨] والصحيحة [١٨٣] وصحيح الجامع [٤٠٠].

٢ – صحيح الترغيب : [٢٦٩٦].

٣- الترمذي : [٢٤٨٧]، وصحيح الجامع : [٧٨٦٥]، وصحيح الترغيب : [٢٦٩٧]، والصحيحة : [٥٦٩].

٤ – صحيح الترغيب : [٢٦٩٩].

عَطَسَ فحَمِدَ الله فشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتْبَعْهُ » (١).

*** من أسباب العلو :**

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« **أَفْشوا السلامَ كَيْ تعلوا** » (٢).

*** من بدأ به كان أولى الناس بالله:**

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ :« **إنَّ أَوْلى الناسِ بالله مَنْ بَدأَهُمْ بالسلام** » .

وفي رواية :

قيل : يارسول الله : الرجُلانِ يَلْتَقِيانِ أَيُّهما يَبْدَأُ بالسَلامِ؟

قال :« **أَوْلاهُما بالله تعالى** » (٣).

*** يجنى الحسنات :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رجلاً مر على رسول الله ﷺ وهو فى مجلس فقال: السلام عليكم، فقال: « **عشر حسنات**».

فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: « **عشرون حسنة**»

فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: « **ثلاثون حسنة**» (٤)

١- مختصر مسلم : [١٤١٨]، وصحيح الجامع : [٣١٥١]، والصحيحة : [١٨٣٢].
٢- صحيح الترغيب : [٢٧٠١].
٣- صحيح الترغيب : [٢٧٠٣].
٤- صحيح الأدب المفرد: [٩٨٦].

وعن سهل بن حنيفٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قال: السلامُ عليكُمْ كُتِبَتْ له عَشْرُ حسنَاتٍ، ومَنْ قال: السلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله كُتِبَتْ له عشرونَ حَسنةً، ومَنْ قال: السلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله وبركاتُه كُتِبَتْ له ثلاثونَ حَسنةً»[1].

*** وللسلام آداب منها:**

قول النبيّ ﷺ: « إذا لَقِي أحدكمْ أخاهُ فليسلِّمْ عليه، فإنْ حالتْ بينهُما شجرةٌ أو حائطٌ أو حجرٌ ثمَّ لقيهُ فليسلْم عليه»[2]

وعن أنس بن مالك: « أن أصحاب النَّبى ﷺ كانوا يكونون فتستقبلهم الشجرة، فتنطلق طائفةٌ منهم عن يمينها وطائفة عن شمالها، فإذا التقوا سلم بعضهم على بعض»[3]

ومنها:

إذا قال البادئ: السلام عليكم، زيد: ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، زيد وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، زيد ومغفرته.

عن زيد بن أرقم قال:

« كُنَّا إذا سَلَّمَ النبيُّ ﷺ علينا قُلْنَا: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، وبركاتُه، ومغفرتُه »[4]

ومنها: عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: « **حقٌ على مَنْ**

١- صحيح الترغيب: [٢٧١١].

٢- صحيح الجامع: [٧٨٩]، وصحيح الأدب المفرد: [١٠١٠]، والصحيحة: [١٨٦].

٣- صحيح الأدب المفرد: [١٠١١]، والصحيحة: [١٨٦].

٤ - الصحيحة: [١٤٤٩] وقال شيخنا - رحمه الله - أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» [١/ ١/ ٣٣٠].

قامَ على جماعَةٍ أنْ يُسَلِّم عليهم، وحقٌّ على مَنْ قام مِنْ مَجْلِسٍ أنْ يُسَلِّمَ »

وقال ﷺ : « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»[1].

فقامَ رجلٌ ورسولُ الله ﷺ يتكَلَّمُ فلَمْ يُسَلِّم، فقال رسولُ الله ﷺ :» ما أَسْرَعَ ما نَسِيَ »[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:» يُسَلِّمُ الرَّاكبُ عَلَى الماشي، والماشي على القاعدِ، والقليل على الكثير »[3].

*** ومنها : استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل فى الحال.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه فى حديث المسيء أنهُ جاء فصَلَّى ثمَّ جاء إلى النبيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عليه فَرَدَّ عليه السَّلامَ فقال :» ارْجع فصَلِّ فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » فرجع فَصَلَّى، ثُمَّ جاء فَسَلَّمَ على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ »[4].

*** ومنها: استحباب السلام إذا دخل بيته.**

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور:٦١].

---

١ - البخارى فى الأدب المفرد : [١٠٠٧، ١٠٠٨]، وأبو داود : [٥٢٠٨]، والصحيحة: [١٨٣]، وصحيح الجامع : [٤٠٠].

٢ - صحيح الترغيب : [٢٧٠٨].

٣ - متفق عليه : البخاري : [٦٢٣٢] فى الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي، ومسلم [٢١٦٠] في السلام، باب يسلم الراكب على الماشي.

٤ - متفق عليه : البخاري : [٧٥٧] في الأذان، ومسلم : [٣٩٧] في الصلاة.

إذا عرفت هذا فينبغي أن تعلم أن إفشاء السلام المأمور به دائرته واسعة جدًا، ضيقها بعض الناس جهلاً بالسنة أوتهاملاً بالعمل بها.

*** فمن ذلك:**

السلام على المصلي، فإن كثيرًا من الناس يظنون أنه غير مشروع، فقد جاءت أحاديث كثيرة فى سلام الصحابة على النبى ﷺ وهو يصلي فأقرهم على ذلك وردَّ عليهم السلام.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

« خرج رسول الله ﷺ إلى قباء يصلي فيه. فجاءته الأنصار، فسلموا عليه وهو يصلي، قال : فقلت لبلال: كيف رأيت رسول الله ﷺ يردّ عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي ؟ قال: يقول هكذا، وبسط كفه، وبسط جعفر بن عون كفه، وجعل بطنه أسفل، وجعل ظهره إلى فوق»[1] .

ومن ذلك:

أيضًا السلام على المؤذن وقارئ القرآن، فإنه مشروع، والحجة ما تقدم فإنه إذا ما ثبت استحباب السلام على المصلي، فالسلام على المؤذن والقارئ أولى وأحرى.

وقد دل حديث سلام الأنصار على النبي ﷺ فى مسجد قباء كما تقدم على مشروعية السلام على من فى المسجد، ومع هذا كله نجد بعض المتعصبين لا يعبئون بهذه السنة، فيدخل أحدهم المسجد ولا يسلم على من فيه، زاعمين أنه مكروه. فلعلّ فيما كتبناه ذكرى لهم ولغيرهم، والذكرى تنفع المؤمنين.[2]

١- أبو داود: [٩٢٧]، والترمذي: [٢/ ٢٠٤]، والصحيحة: [١٨٥].

٢- بتصرف من السلسلة الصحيحة المجلد الأول ص٣٠٨- ص٣١٤.

واعلم أن ليس معنى إفشاء السلام أن يقول المسلم لأخيه المسلم إذا لقيه: السلام عليكم فحسب، ولكنَّ إفشاء السلام معناه فعلُ كل ما يشيع فى المسلمين السِّلم والسلام، ويوجد بينهم المحبة والوئام، وترك ما يوقع بين المسلمين العداوة والبغضاء، ويوجد بينهم الخصام. فسلم أخي على الصغير والكبير، والغني والفقير، ومن عرفت ومن لم تعرف، وأرسل سلامك إلى الناس.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أَتَى جِبْرِيلُ النبىَّ ﷺفقالَ:» **يا رسولَ الله، هذِه خَديجَةُ قدْ أَتَتْكَ معَها إناءٌ فيه إدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فإذا هي أَتَتْكَ فأقرأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا عزَّ وَجَلَّ ومِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فيهِ ولاَ نَصَبَ**» [١].

عن أبي سَلَمَةَ عن عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺقَالَ لها:» **إنَّ جِبْرِيلَ يَقْرأُ عَلَيْكِ السَّلامُ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلامُ وَرَحْمَةُ الله [٢].

وعنها أيضًا رضي الله تعالى عنها قالت:

قال لي رسول الله ﷺ: « **يا عائشُ: هذا جِبريل يُقرئك السَّلام**» [٣].

وعن أنس بن مالك قال: كانت العرب يخدم بعضها بعضًا فى الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعامًا، فقال أحدهما لصاحبه: إن هذا ليوائم نوم بيتكم فأيقظاه، فقالا: ائت رسول الله ﷺفقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، وهما يستأدمانك» [٤].

١- مسلم: ٨/ ١٩٩ فضائل خديجة رضي الله عنها.

٢- مسلم: ٨/ ١١ فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٣- مختصر مسلم: [١٦٦٨]، وصحيح الجامع: [٧٩١٥].

٤- الصحيحة: [٢٦٠٨]، وصحيح الجامع: [٧٩١٥].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« من أدرك منكم عيسى ابنَ مريمَ، فليقرئهُ منِّي السَّلام»[1].

فأفشوا السلام : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:» **أعْجَزُ الناسِ مَنْ عَجِزَ في الدُّعاءِ، وأبْخَلُ الناسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلامِ** »[2].

وعن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما :

أنَّ رجلاً سأَل رسولَ الله ﷺ : أيُّ الإسْلام خَيرٌ ؟ قال:» **تُطْعِمُ الطعامَ، وتَقْرأُ السلامَ، على مَنْ عَرَفتَ ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ** »[3].

---

١ - صحيح الجامع : [٦٠٠١]، والصحيحة: [٢٣٠٨].

٢ - صحيح الترغيب : [٢٧١٤].

٣ - متفق عليه : البخاري [١٢] فى الإيمان، باب إطعام الطعام في الإسلام، ومسلم [٣٩] في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام.

الكلمة الطيبة

إن الكلمة الطيبة تشفي الصدور، وتضمّد الجراح، وتقرِّب الفجوة، وكم من عدوٍ لدود صار صديقًا حميًا بكلمة طيبة.

لذا أمر الله تعالى بالقول الحسن فقال تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة:٨٣].

ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لايسع الناس بماله، أُمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك، النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيهًا في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولامخاصم. بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملاً لكل أحد، صبورًا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالاً لأمر الله، ورجاء لثوابه.[١]

وقال تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا** ﴾ [الإسراء :٥٣].

وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله، من قراءة، وذكر، وعلم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وكلام حسن لطيف مع الخلق، على اختلاف مراتبهم ومنازلهم؛

---

١ - تيسير الكريم الرحمن: [١/ ١٠٥].

وأنه إذا دار بين أمرين حسنين، فإنه يأمر بإيثار أحسنهما، إن لم يمكن الجمع بينهما.

والقول الحسن، داع لكل خلق جميل، وعمل صالح، فإن من ملك لسانه، ملك جميع أمره.

*** وتتأكد الكلمة الطيبة في مواضع :**

*** منها :عند السؤال وعدم القدرة على العطاء والإنفاق.**

قال الله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا(٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٨]

وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى، مع القدرة والغنى.

فأما مع العدم، أو تعسر النفقة الحاضرة، فأمر الله تعالى أن يردُّوا ردًّا جميلاً فقال سبحانه : ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا ﴾ أى : لطيفًا برفق، ووعد بالجميل، عند سنوح الفرصة، واعتذار بعدم الإمكان، في الوقت الحاضر، لينقلبوا عنك، مطمئنة خواطرهم، كما قال تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَالله غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

*** ومنها : عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٣-٤٤]

أي: قولاً سهلاً لطيفًا برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال ، لعله بسبب القول اللين ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ ما ينفعه فيأتيه. ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ مايضره فيتركه، فإن القول اللين، داع لذلك، والقول الغليظ، منفر عن صاحبه.

وقد فُسر القولُ اللين في قوله سبحانه : ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾[النازعات:١٨-١٩]

فإن فى هذا الكلام، من لطف القول وسهولته، وعدم بشاعته، مالا يخفى على المتأمل.

فإنه أتى بـ ﴿هَلْ﴾ الدالة على العرض والمشاورة، التي لايشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل» أزكيك » بل قال: ﴿ تَزَكَّى ﴾ أنت بنفسك.

ثم دعاه إلى سبيل ربه، الذي رباه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها. فقال: ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ فلما لم يقبل هذا الكلام اللين. الذي يأخذ حسنه بالقلوب، علم أنه لاينجع فيه تذكير، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر. [١]

وعليه : فينبغي على الإنسان أن يكونَ قولُه للناس لينًا، ووجهه مُنبسطًا مع البرِّ والفاجِر من غير مداهنةٍ؛ لأن اللهَ قال لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا ﴾ [طه :٤٤] فالقائل ليس بأفضلَ من موسى وهارون، والفاجرُ ليس بأخبثَ من فرعون، وقد أمرهما ربُّهما باللِّين معه.

* ورغَّب رسول الله ﷺ فى الكلمة الطيبة وحَثَّ عليها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال :
«.... **والكلمةُ الطيِّبَةُ صَدَقَةٌ** » [٢].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :«**اتَّقوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طيِّبَةٍ** » [٣].

---

١ - تفسير الكريم الرحمن : [٥/ ١٥٩-١٦٠].
٢ - البخاري : [٥/ ٢٢٦ و ٦/ ٩٣، ٩٤]، ومسلم : [١٠٠٩]، وهو في صحيح الترغيب :[٢٦٨٨].
٣ - صحيح الترغيب : [٢٦٨٩].

وعن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال :

قلتُ : يارسولَ الله : حدثني بشَيْءٍ يوجِبُ لي الجنَّة ؟ قال :» **موجِبُ الجنَّةِ، إطْعامُ الطَّعامِ، وإفْشاءُ السَّلامِ، وحسْنُ الكَلامِ** »[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال : «**إنَّ في الجنَّة غُرفةً يُرى ظاهِرُها مِنْ باطِنها، وباطِنُها مِنْ ظاهِرها** » فقال أبو مالك الأشْعريِّ : لِمَنْ هِيَ يارسولَ الله ؟ قال :«**لِمَنْ أطابَ الكَلامْ، وأطْعَمَ الطعامْ، وباتَ قائمًا والناسُ نيامْ** »[2].

والكلام اللَّينُ ــ معاشرَ الأحبة ــ يغسلُ الضغائنَ المستكينةَ في الجوارح. فعليكم بالطيِّب من القول، فربُّكم إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيبُ والعمل الصالح يرفعه، وقد قال الله عن أهل الجنَّة : ﴿ إِنَّ الله يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ(٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج : ٢٣-٢٤].

* والكلمة الطيبة تؤتي أُكلها كل حين، والكلمة الخبيثة ليس لها قرار:

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ(٢٦)يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٧].

*****

١- صحيح الترغيب : [٢٦٩٠].

٢- صحيح الترغيب : [٢٦٩٢].

المصــافحة

من الأمور التى تجلبُ المحبة مصافحة المسلم أخاه المسلم.

*** وقد رغَّب رسول الله ﷺ فيها :**

عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ:

« ما مِنْ مسلمَيْنِ يَلْتَقيانِ فيتَصافَحانِ، إلا غُفِرَ لهما قَبْلَ أنْ يَتَفرَّقا »[١]

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺقال :«إنَّ المؤمِنَ إذا لَقِيَ المؤمِنَ فسلَّمَ عليه، وأخَذَ بيده فصافَحَهُ، تناثَرتْ خطاياهُما كما يتناثَرُ ورَقُ الشَّجَرِ »[٢].

*** والمصافحة من هدي أصحاب النبي ﷺ :**

عن أبي الخَطَّابِ قَتَادَةَ قال : قلتُ لأَنَسٍ : أَكَانَتِ المصافَحةُ في أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قال : نَعَمْ [٣]

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : قالَ رَجُلٌ : يارسولَ الله، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، أَيَنْحَني لَهُ؟ قال:«لا » قال : أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ ؟ قالَ :«لا» قال : فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ ؟ قال :« نَعَمْ » [٤]

قال شيخنا – الألباني – رحمه الله:

نقول بالنسبة للالتزام والمعانقة، أنها لاتشرع لنهي الحديث عنها، لكن قال

---

١ - أبوداود : [٥٢١٢]، وصحيح الترغيب : [٢٧١٨].
٢- صحيح الترغيب : [٢٧٢٠].
٣- البخاري : [١١/ ٤٦]، وهو فى صحيح الترغيب رقم : [٢٧٢٢].
٤- الترمذي : [٢٧٢٩]، والصحيحة : [١٦٠].

أنس رضي الله عنه :

«كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا»[١] .

فيمكن أن يقال : إن المعانقة في السفر مستثنى من النهي لفعل الصحابة ذلك.[٢]

والرجل يصافح الرجل فقط، والمرأة تصافحُ المرأة فقط، أما مصافحة الرجل المرأة الأجنبية، أو العكس، فلاتجوز شرعًا، عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : «**لأَنْ يُطعَنَ في رأسِ أحدِكم بمخيَطٍ من حديدٍ خيرٌ لهُ مِنْ أن يَمَسَّ امرأةً لا تَحِلُّ لهُ** »[٣] .

[المخيط] بكسر الميم وفتح الياء، وهو مايخاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما.

وفي الحديث وعيد شديد لمن مس امرأة لاتحل له، وفيه دليل على تحريم مصافحة النساء *.

وعن أميمة بنت رقيقة أن النبيَّ ﷺ قال : « **إني لا أُصافحُ النساءَ** »[٤] .

*** وقد أمرنا الله تعالى أن نتأسى به ﷺ.**

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ**

---

١ – قال شيخنا – رحمه الله – رواه الطبري في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، كما قال المنذري: [٣/ ٢٧٠]، والهيثمي : [٨/ ٣٦].

٢ – السلسلة الصحيحة : [١/ ٢٥٢]، وصحيح الأدب المفرد : [٩٧٠] باب المعانقة.

٣ – صحيح الجامع : [٥٠٤٥]، والصحيحة : [٢٢٦].

* – الصحيحة، المجلد الأول ص ٣٩٦.

٤ – صحيح الجامع : [٢٥١٣]، والصحيحة : [٥٢٩].

الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١].

*** فيلزمنا ألا نصافح النساء اقتداءً به ﷺ.**

فاتق الله أيها الرجل، ولا تمدَّ يدك في يد امرأة أجنبية، واتق الله أيتها المرأة، ولاتمدّن يدكِ في يد رجل أجنبي فإن النبي ﷺ عدَّ اللمس نوعًا من أنواع الزنا.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« كُتِبَ على ابنِ آدَمَ نَصيبهُ منَ الزِّنا مُدْرِكٌ ذلكَ لا مَحَالَةُ، فالعينانِ زِناهُما النَّظرُ، والأذُنانِ زِناهما الاستماعُ، واللِّسانُ زِناهُ الكلامُ، واليدُ زِناها البطشُ، والرِّجلُ زِناها الخُطا، والقلبُ يهوى ويتمنى، ويُصَدِّقُ ذلكَ الفرجُ ويكذِّبُهُ»[1].

*****

١ - مختصر مسلم : [١٨٥٠]، وصحيح الجامع : [٤٤٧٦].

العفو وكظم الغيظ

قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٥]

والمعنى : أي: لايستوي فعل الحسنات والطاعات، لأجل رضا الله تعالى، وفعل السيئات والمعاصي، التي تسخطه ولا ترضيه.

ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن:٦٠]

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليه فقال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت:٣٤] أي : فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه.

فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين، وإن هجرك، وترك خطابك، فَطَيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام.

* فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ أي: كأنه قريب شقيق.

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أي : وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥] نفوسهم على ماتكره، وأجبروها على مايحبه الله.

فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان ؟

فإذا صبَّر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب. وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لاتفيده شيئًا، ولاتزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥] لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد، الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.[1]

والعفو عند المقدرة من مكارم الأخلاق، وجميل الصفات وموجبات الجنان، قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٤].

لذلك كثرت النصوص في القرآن الكريم، والسنة المطهرة بالأمر بالعفو والصفح.

قال الله تعالى : ﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

١- تفسير تيسير الكريم الرحمن : [٦/ ٥٧٧-٥٧٨].

وقال تعالى : ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر:٨٥].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن :١٤]، لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا، عفا الله عنه، ومن صفح، صفح عنه، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده بما يحبون وينفعهم، نال محبة الله، ومحبة عباده، واستوثق له أمره.

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ [الشورى :٤٠]

وفي جعل أجر العافي على الله، مما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به.

فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

*** فمن أحب أن يعفو الله عنه فليعف عمن أساء إليه.**

ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى العفو والصفح امتثالاً لأمر الله عزَّ وجل : ﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]

فكسب قلوب أصحابه، وحببهم فيه، وحببهم فى الدين، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان ﷺ يحث على العفو ويرغب فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبدًا بَعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، ومَا تَواضَعَ أَحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ » (١)

---

١ - مختصر مسلم : [١٧٩٠]، وصحيح الجامع : [٥٨٠٩]، والإرواء : [٢٢٠٠].

وعن عُقبةَ بن عامر رضيَ اللهُ عنه قال : لقيتُ رسولَ الله ﷺ فابتَدأتُه فأخذْتُ بيدِهِ فقلتُ : يارسولَ الله أخْبرني بفواضل الأعمال، فقال :« **يا عقبةُ صِلْ مَنْ قطَعك، وأعْطِ مَنْ حَرَمكَ، واعْفُ عَمن ظلمك** »[١]

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« **من كظَمَ غيظًا، وهو قادرٌ على أن يُنْفِذَهُ، دعاهُ الله على رءوس الخلائق، حتى يُخَيِّرَه من الحور العين، يزوجه منها ماشاء** »[٢]

فحسبك هذا المهر أن تقدمه بين يديك حتى تُخيّر من الحور العين.

* وحسبك فى وصف الحور العين:

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« **أوَّل زُمْرَةٍ يدخلونَ الجنَّةَ كأنَّ وجوهَهُم القمرِ ليلَةَ البدرِ، والزُّمرةُ الثانيةُ على لونِ أحْسَنِ كوْكَبٍ دُرِّيٍّ فى السَّماءِ، لِكُلِّ واحِدٍ منهم زَوْجَتانِ مِنَ الحُورِ العينِ، على كلِّ زوْجةٍ سبْعون حُلَّةً، يُرى مخُّ ساقِها مِنْ وراءِ لحومها وحُلَلِها، كما يُرى الشرابُ الأحْمَرُ في الزُجاجَةِ البَيْضَاءِ** »[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :« **ولو اطَّلَعتِ امْرأَةٌ مِنْ نِساءِ أهْلِ الجنَّةِ إلى الأرضِ لملأَتْ ما بينْهُما ريحًا، ولأَضاءَتْ ما بيْنَهُما، ولَنَصيفُها –يعنى خِمارَها– على رأْسِها خيرٌ مِنَ الدُّنْيا ومافيها** »[٤].

وعنه أيضًا رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

« **إنَّ الحورَ في الجنَّة يُغَنِّين يقلنَ : نحنُ الحورُ الحِسانْ، هُدينا لأزْواجٍ كِرامٍ** »[٥]

---

١ - الصحيحة : [٨٩١].

٢ - صحيح الجامع : [٦٥١٨]، والترغيب : [٣/ ٢٧٩].

٣ - صحيح الترغيب : [٣٧٤٥].

٤ - البخاري : [١١/٤١٨]، وهو فى صحيح الترغيب : [٣٧٤٧].

٥ - صحيح الترغيب : [٣٧٥٠].

*** هؤلاء وعد الله بهن من كظم غيظه في الدنيا.**

عن ابْنِ عُمَرَ، قالَ : قال رَسُولُ الله ﷺ :« **مَا مِنْ جُرعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ الله، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله** »[1]

فينبغي أخذُ النفسِ بكظمِ الغيظ، والعفوِ عن المسيء، والإعراضِ عن الجاهلِ. وكيف يكونُ الإنسان كريمًا ذا خُلُقٍ وهو لا يقيلُ عثرةً، ولا يدمَحُ زلزلةً، ولا يقبلُ معذرة ؟

*** وقد حذَّر رسول الله ﷺ من التهاجر والتدابر والتباغض وبين أن سبب ذلك الذنوب:**

فقال عليه الصلاة والسلام :« **والَّذي نَفْسي بيَدِهِ ما توادَّ اثْنانِ فيُفَرَّق بيْنَهما إلا بذَنْبٍ يُحْدِثُه أحَدُهُما**»[2] .

وهذا حديثٌ يدل على أثر من آثار الذنوب المرة، ألا وهو التفريق بين المتوادين في الله المتحابين في الإسلام فعلى المؤمنين أن يحذروا ذلك وألا يستجيبوا إلى وساوس الشيطان الذي دأبه التحريش بين الإخوان. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ [المائدة : ٩١].

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن الشيطانَ قد يئس أن يعبدهُ المصلُّونَ في جزيرة العرب ولكنْ في التحريشِ بينهم**»[3] «التحريش» الإفساد وتغير قلوبهم وتقاطعهم، وكثيرون أولئك الذين يتبعون خطوات الشيطان

---

١ - ابن ماجه : [٤١٨٩]، والتعليق الرغيب : [٣/ ٢٧٩].

٢ - صحيح الترغيب : [٣٤٩٥]، وصحيح الأدب المفرد : [٤٠١]، والصحيحة : [٦٣٧].

٣- مختصر مسلم : [١٨٠٤]، وصحيح الجامع : [١٦٥١]، والصحيحة : [١٦٠٨].

فيهجرون إخوانهم المسلمين لأسباب غير شرعية، إما لخلاف مادي، أو موقف سخيف، وتستمر القطيعة دهرًا، وقد يحلف أن لايكلمه، وينذر أن لايدخل بيته، وإذا رآه في طريق أعرض عنه، وإذا لقيه في مجلس صافح من قبله ومن بعده وتخطاه، وهذا من أسباب الوهن في المجتمع الإسلامي ولذلك كان الحكم الشرعي حاسمًا والوعيد شديدًا.

قال ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ »[١].

وقال ﷺ: « مَنْ هَجَر أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ »[٢].

* ويكفي من سيئات القطيعة بين المسلمين الحرمان من مغفرة الله عز وجل:

قال رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يشركُ بالله شيئًا، إلاَّ امرأ كانتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فيقول: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحَا »[٣].

وقال ﷺ: «لايحل لمسلم أن يصارم مسلمًا فوق ثلاث، فإنهما ناكبان عن الحق ماداما على صرامهما، وإن أولهما فيئًا يكون كفارته عند سبقه بالفيء، وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنَّة جميعًا أبدًا، وإن سلَّم عليه فأبى أن يقبل تسليمه وسلامه، ردَّ عليه الملك، وردَّ على الآخر الشيطان »[٤] والمعنى: ومن تاب إلى الله من المتخاصمين فعليه أن يعود إلى صاحبه ويلقاه بالسلام. فإن فعل وأبى صاحبه فقد برئت ذمة

١- صحيح الجامع: [٧٦٣٥]، وأبو داود [٥/ ٢١٥].

٢- صحيح الجامع: [٦٥٨١]، والصحيحة [٩٢٨].

٣- مسلم: [٢٥٦٢/ ٣٦] في البر والصلة، وأبو داود: [٤٩١١].

٤- صحيح الأدب المفرد: [٣١١]، والإرواء: [٧/ ٩٥]، والصحيحة: [١٢٤٦].

العائد وبقيت التبعة على من أبى.

ولذلك وصى رسول الله ﷺ خير الرجلين بأن يبدأ بالصلة وقطع هذه الخصومة.

قال رسول الله ﷺ :« **لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليالٍ : يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرُهما الذي يبدأُ بالسلام** »[1] .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **لايحلُّ لمسلمٍ أن يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثلاثِ ليالٍ، يَلتَقِيانِ فيصدُّ هذا، ويصُدُّ هذا، وَخَيْرُهُمَا الذي يبدأُ بالسَّلام**»[2] .

*****

١- متفق عليه : البخاري

٢- صحيح الجامع : [٧٦٦٠]، والإرواء : [٢٠٢٩].

إذا أحب الرجل أخاه فَلْيُعْلِمْهُ

* من الأمور التي تجلبُ المودة وتزيد المحبة إعلام المحبّ من يحبه :

عن أبي كريمة المقداد بن مَعدي كَرِب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا أَحَبَّ الرَّجُلُ أخاهُ، فَلْيُخْبِرْه أَنَّهُ يُحِبُّهُ** »(١).

وقال ﷺ : « **إذا أحبَّ أحدكم أخاهُ في الله فليعلمهُ، فإنهُ أبقى في الألفةِ، وأثبتُ في المودةِ** »(٢).

وقال ﷺ : « **إذا أحبَّ أحدُكم أخاه في الله فليُبَيِّنْ له، فإنَّه خيرٌ في الألفةِ، وأبْقى في المَوَّدةِ** »(٣).

وقال ﷺ : « **إذا أحبَّ أحدكمْ صاحبهُ فليأته في منزلـه، فليخبرهُ أنه يحبُّهُ لله** »(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال : « كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ إذ مرّ رجل، فقال رجل من القـوم : يا رسول الله إني لأحبُ هذا الرجل، فقال له النبيُ ﷺ: « **أأعلمتَهُ ؟** » قال: لا. قال: « **أَعْلِمْهُ** » فَلَحِقَهُ، فقال: إنِّى أُحِبُّك فى الله، فقال : أَحَبَّكَ الذي أَحْببتني له»(٥) فدل هذا على أنه من السنة إذا أحببت شخصًا أن تقول: إني أحبك، وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه بإذن الله، لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك، وإذا علمت

---

١ - أبو داود رقم [٥١٢٤] كتاب الأدب، والترمذي رقم [٢٣٩٢] كتاب الزهد، وصحيح الجامع رقم [٢٧٩] والصحيحة رقم [٤١٨، ٢٥١٥].

٢ - صحيح الجامع رقم [٢٨٠].

٣ - السلسلة الصحيحة رقم [١١٩٩]، وقال الشيخ - رحمه الله - الحديث بمجموع الطرق حسن إن شاء الله تعالى.

٤ - صحيح الجامع رقم [٢٨١]، والصحيحة رقم [٤١٨، ٧٩٧].

٥ - أبوداود [٥١٢٥] كتاب الأدب، والصحيحة : [٤١٨].

أيضًا أنه يحبك زاد حبك له، وبذلك يتزايد الحبّ من الجانبين ويتضاعف.

قال ﷺ : « إذا أحبَّ أحدُكم أخاه في الله فليُبَيِّنْ له، فإنَّه خيرٌ في الألفَةِ، وأبْقى في المَوَّدةِ »(١).

*****

١ - الصحيحة : [١١٩٩].

الشـــفاعة

ومعناها : قيام الشفيع مع المشفوع له، ومشيه في قضاء حاجته، وهي من باب التعاون على البر والتقوى، وفعل الخير الذى هو سبب الفلاح في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧].

*** وقد أمر اللهُ ورسوله ﷺ بالشفاعة.**

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

والمراد بالشفاعة هنا : المعاونة على أمر من الأمور.

فمن شفع غيره، وقام معه على أمر من أمور الخير كأن يشفع لرجل عند خصمه ليعفوَ عن خصمه، أو يشفع عند مسئولٍ لرَّجلٍ ليقضيَ حاجته، أو يشفع عند متهاجرين ليصطلحا، فهذا من الشفاعة الحسنة التي يثاب عليها الإنسان، وكان له نصيب من شفاعته، بحسب سعيه وعمله، ونفعه، وفي هذا إشارة إلى فضل المشي مع المسلمين في قضاء حوائجهم، ولقد حث الإسلام على ذلك ورغَّب فيه.

عن عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما : أنَّ رجلاً جاءَ إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسولَ الله : أيُّ الناسِ أحبُّ إلى الله ؟ وأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله ؟ فقال : « **أحبُّ الناسِ إلى الله أنْفَعُهم لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعْمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدْخِلُه على مسلم، تكْشِفُ عنه كُرْبَةً، أوْ تَقْضي عنه دَيْنًا أوْ تَطْرُدُ عنه جُوعًا، ولأن أَمْشي مَعَ أخٍ في حاجَةٍ، أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعْتَكِفَ في هذا المسجِدِ** – يعني مسجدَ المدينَةِ – **شَهْرًا، ومن كظَم غيْظَهُ – ولو شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أمْضاهُ –، ملأ الله قلْبَهُ يومَ القيامَةِ رِضًا، ومَنْ مشى مَع أخيه في حاجَةٍ حتى يَقْضِيَها له، ثَبَّتَ الله قدَميْه يومَ تزولُ الأقْدامُ** » [1].

---

١ – صحيح الترغيب : [٢٦٢٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمه، ولا يُسْلِمُه، مَنْ كان في حاجة أخيه، كانَ الله في حاجَتِه، ومَنْ فَرَّجَ عنْ مسلمٍ كُرْبةً، فرَّجَ الله عنه بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوم القِيامَةِ، ومَنْ سَتَر مسلمًا، سَتَرَهُ الله يومَ القِيامَةِ »[1]

* وحذَّر ﷺ من عدم المشي في قضاء حوائج المسلمين.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله عند أقوامٍ نعمًا أقرّها عندهم، ماكانوا في حوائج المسلمين مالم يملّوهم، فإذا ملّوهم نقلها إلى غيرهم»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله أقْوامًا اختَصَّهُم بالنِّعَمِ لمنَافِعِ العِبادِ، يُقِرُّهُم فيها ما بَذلُوها، فإذا مَنَعُوها نَزَعها منهم، فَحوَّلها إلى غَيْرِهِمْ » [3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ : «ما مِنْ عبدٍ أنْعم الله عليه نِعْمةً فأسْبَغَها عليه، ثُمَّ جعلَ مِنْ حوائج الناسِ إليه فتَبَرَّمَ، فقدْ عرَّض تلكَ النِّعْمَةِ لِلزَّوالِ»[4].

معنى : « فتَبَرَّمَ»: سَئِم وضجر به

وعن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه عنْ رسولَ الله ﷺ قال : «لايزالُ الله في حاجَةِ العبْدِ ما دامَ في حاجَةِ أخيه»[5].

فعلى المسلم أن يستعين على قضاء حاجة نفسه بالسعي في قضاء حاجات المسلمين، فمن سعى في قضاء حاجات المسلمين سعى الله نفسه سبحانه وتعالى في قضاء حاجته،

---

١ – البخاري : [٥/ ٧٠، ٧١]، ومسلم : [٢٥٨٠] وهو فى صحيح الجامع رقم :[٢٦١٥] .

٢ – صحيح الترغيب : [٢٦١٦] .

٣ – صحيح الترغيب : [٢٦١٧] .

٤ – صحيح الترغيب : [٢٦١٨] .

٥ – صحيح الترغيب : [٢٦١٩] .

فأيها أنفع لك وأحب أن تسعى فى حاجة نفسك أنت. أم يسعى الله تعالى في قضاء حاجتك؟، ولاشك أن قضاء الله تعالى نافذ.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٢-٨٣].

*** فيستحب للمسلم أن يشفع قدر استطاعته لإخوانه شفاعةً حسنة امتثالاً لأمر النبيِّ ﷺ.**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فجاء رجلٌ يسأل، فالتفت إلينا فقال: « **اشفعوا لتؤجروا، ويقضي اللهُ على لسان نبيّه ماشاء** »[1] وفى رواية: « **اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله علَى لِسَانِ نَبيِّهِ ما أحبَّ** »[2].

لذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم أشدّ حرصًا من غيرهم على المشي في قضاءِ حوائجِ المسلمين.

بعث الحسن البصري – رحمه الله - نفرًا من أصحابه في قضاء حاجة لمسلم، وأمرهم أن يمروا بثابت البناني فيأخذوه معهم، فأتوا ثابتًا فأخبروه.

فقال: إني معتكف، فرجعوا إلى الحسن.

فقال لهم: قولوا له يا أعمش. أما تعلم أن مشيك في قضاء حوائج المسلمين خير لك من حجة بعد حجة. فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وخرج معهم.

*** أما الشفاعة السيئة فلا.**

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ [النساء:٨٥].

ومن الشفاعةِ السَّيئةِ الشفاعةُ في حَدٍّ من حدود الله، والمرادُ بالحدود العقوباتُ

---

١ - صحيح الترغيب: [٢٣٥٠].

٢ - البخاري: [٣/ ٢٣٨]، ومسلم: [٢٦٢٧].

الشرعيَّةُ المقرَّرةُ على بعض الجرائم، كالقتل، والزنا، والسرقة، والردَّة، والقذف، وشرب الخمر، واللواط، وغير ذلك، فهذه الجرائم لها عقوباتها المقررة في الشرع، فلايجوز لأحدٍ أن يشفع في رجل استحقَّ عقوبةً شرعيةً على جريمةٍ ارتكبها، لأنه بذلك يُعطِّل حدودَ الله، وقد رغَّب الإسلام في إقامة الحدود، وحذَّر من المداهنة فيها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « **لَحَدٌّ يقامُ في الأرض، خيرٌ لأَهْلِ الأرْضِ مِنْ أنْ يُمْطَروا ثلاثينَ صَباحًا**»

وفي رواية: قال أبو هريرة : « **إقامَةُ حَدٍّ في الأرضِ، خيرٌ لأَهْلِها مِنْ مطرِ أرْبعينَ ليلةً**»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : « **إقامة حدٍّ من حدودِ الله، خيرٌ من مَطَرِ أربعينَ ليلةً في بلادِ الله** »[2]

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولاتأخذكم في الله لومة لائم**»[3].

وعن عائشة رضي اللهُ عنها : أنَّ قريشًا أهَمَّهُم شأنُ المخزُوميَّةِ التي سَرَقَتْ، فقالوا : مَنْ يُكلِّم فيها رسولَ الله ﷺ؟ ثمَّ قالوا : مَنْ يَجْتَرِئُ عليه إلا أُسامة بنَ زَيْدٍ حِبَّ رسولِ الله ﷺ؟ فكلَّمَهُ أسامَةُ، فقال رسولُ الله ﷺ : « **يا أسامَةُ : أتشْفَعُ في حدٍّ مِنْ حدودِ الله؟**» ثمَّ قام فاخْتَطَبَ، فقال : «**إنَّما هَلكَ الذين مِنْ قَبْلكُم أنَّهُمْ كانوا إذا سَرقَ فيهمُ الشريفُ تَركُوهُ، وإذا سَرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليهِ الحَدَّ، وايْمُ الله : لوْ أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحمَّدٍ سرقَتْ لَقَطَعْتُ يَدها** »[4].

الله أكبر هكذا الحق. أشرف النساء نسبًا فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنَّة،

١ - صحيح الترغيب : [٢٣٥٠] .
٢ - صحيح الترغيب : [٢٣٥١] .
٣ - صحيح الترغيب : [٢٣٥٢] .
٤ - البخاري : [٨٧/ ١٢]، ومسلم : [١٦٨٨/ ١٣١٥/ ٣] وهو في صحيح الجامع رقم :[٧٨٤٥] .

يقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق البار أن لو سرقت لقطع يدها. وكان ﷺ يحذِّر من الشفاعة فى الحدود.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حالت شفاعتُه دون حدٍّ من حدودِ الله، فقد حادَّ الله في أمرِه** »[1]

ذلك لأن الله تعالى شرع الحدود والعقوبات رحمة بالخلق وصونًا لدمائهم وأعراضهم وأموالهم، وصلاحًا لمجتمعهم، ثم إن إقامة الحدِّ في الدنيا تطهر صاحبه من ذنبه، وتسقط عنه العقوبة فى الآخرة ؛ فلا تجتمع له عقوبة في الآخرة مع عقوبة الدنيا.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ في مجلس، فقال : « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولاتزنوا**، وقرأ هذه الآية كلها : **فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه فهو إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عاقبه** »[2]

يا أُمةَ نبيِّ الرحمةِ : إذا أرادَ الله بعبده خيرًا جعلَ قضاءَ الحوائج على يديه. وفي الأمةِ موفقون لا يدخلون في شيءٍ إلا أصلحَوا، وإذا عملوا أتقنوا، وإذا شَفَعوا شُفِّعوا، وإذا سعوا في حاجةٍ قُضيت. أولئك هم المُيَسَّرون لما خُلقوا له، بفضلِ مساعيهم وحسنِ مقاصدِهم – بعد توفيقِ الله – تُقضى الحوائجُ وتتم المآربُ. ويزدادُ الحقُّ وتَعظُمُ المسئوليةُ. حين يكونُ المرءُ ذا جاهٍ أو صاحبَ منصبٍ أو كلمةٍ مسموعةٍ حولَهُ الرغبةُ والرهبةُ.

إذا رزقَ العبدُ ذلك ومكَّن اللهُ له فيه.. فليعلمْ أن ذلك ليس للتعالي والتعاظمْ وإنما هو مقامٌ خصَّه اللهُ به. لاتُقضى حوائجُ الناسِ إلا عن طريقه بإذن الله وعونه، فإذا سهَّلها وسعى فيها فقد استبقى هذا النعمة، وإن كان غيرُ ذلك فقد تنكَّرَ وجحدَ وعرَّض نعمتَه للزوال ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ [البقرة :١٤٨].

---

١ - صحيح الجامع : [٦١٦٦]، والصحيحة: [٤٣٨]، والإرواء : [٢٣١٨] .

٢ - البخاري : [١٨/ ٦٤/ ١]، ومسلم : [١٧٠٩/ ١٣٣٣/ ٣]

الهَديـة

للهدية عظيم الأثر في استجلاب المحبة، وإثبات المودة، لذا حث الإسلام على الهدية وقبولها.

عن أبي هريرة، عن النَّبي ﷺ قال: « **تهادُوْا تحابُّوا** » (١).

وكان ﷺ يحث على الإهداء ولو بالقليل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **يَا نِسَاءَ المسْلِماتِ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ** » (٢)

معنى: « **فِرْسَنَ** » هو موضع الحافر، المبالغة فى إهداء الشيء اليسير وقبوله.

* وكان ﷺ يهدي ويُهدى إليه، ويعطي ويُعطى.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **لو أُهدي إليَّ كُراعٌ لقبلتُ، ولوْ دُعيتُ عليه لأجبْتُ** » (٣).

« **الكراع** »: من الدابة مادون الكعب وهو عارٍ من اللحم.

وكان ﷺ يحث على قبول الهدية وعـدم ردها. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **أجيبوا الداعيَ، ولا تردُّ الهدية، ولاتضربوا المسلمين** » (٤).

* مالا يُرد من الهدية.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول لله ﷺ: « **ثلاثٌ لا تردُّ : الوسائدُ،**

---

١ - صحيح الجامع: [٣٠٠٤]، والإرواء: [١٦٠١]، وصحيح الأدب المفرد: [٥٩٤].

٢ - البخاري: [١٠/ ٣٧٢]، ومسلم: [١٠٣٠].

٣ - صحيح الجامع: [٥٢٥٧].

٤ - صحيح الجامع: [١٥٨]، والإرواء: [١٦١٦].

والدُّهنُ، واللَّبنُ » [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسَول الله ﷺ: « **من عُرِض عليه طيبٌ فلا يردُّه، فَإِنَّهُ خفيفُ المحملِ، طيِّبُ الرائحة** » [٢].

وفى المقابل كان ﷺ يحذِّر من قبول الهدية إذا كانت بمثابة رشوة، أو مقابل شفاعة.

عن أبي حُمَيْد السَّاعِدِيِّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابنُ اللُّتْبِيَّةِ على الصَّدَقَةِ. فَجَاءَ فقالَ : هذَا لَكُم وَهذَا أُهْدِىَ لِي، فَقَامَ النَّبيُّ ﷺ عَلى المِنْبَرِ فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيْهِ وَقال : « **مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَجِيء فَيَقُولُ : هَذَا لَكُم وَهذَا أُهدِىَ لِي، ألاَّ [هَلاَّ] جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ أَوْ أَبِيهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لَهُ [إِلَيْهِ] أَمْ لاَ، لاَ يأتِي أَحَدٌ مِنْكمُ [أَحَدُكمُ] بِشَيء مِنْ ذَلِكَ إلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إن كَانَ بَعيرًا فلَهُ رُغاءٌ أَوْ بَقَرَةً فَلَها خُوَارٌ أَوْ شَاةً تيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**» [٣].

معنى : « **فله رغاء**»: صوت البعير.

« **خوار** »: صوت البقرة.

« **تيعر** »: تصيح وتصوت صوتًا شديدًا.

« **عفرة إبطيه**»: أي : بياضهما المشوب بالسمرة.

« اللهم هل بلغت» أي : بلغت حكم الله إليكم.

قال الحافظ : وفي هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول.

قلتُ : وعن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: « **هدايا العمال غلول** » [٤].

وعن أبي أُمامَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « **مَنْ شَفَع شفَاعةً لأحدٍ**

---

١ – صحيح الجامع : [٣٠٤٦]، والصحيحة : [٦١٩].

٢ – صحيح الجامع : [٦٣٩٣]، والمشكاة : [٣٠١٦].

٣ – متفق عليه : البخاري : [١٢/٣٤٨]، ومسلم : [٣/٤٦٣].

٤ – أحمد : [٥/ ٤٢٥]، والإرواء : [٢٦٢٢]، عون المعبود شرح سنن أبى داود : [٨/ ١٦٣]، وصحيح الجامع :[٧٠٢١].

فأُهْدِيَ له هَدِيَّةٌ عليها فَقَبِلها، فقد أَتى بابًا عظيمًا مِنْ أبوابِ الربا»[١].

* من أولى بالهدية ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ يا رسول الله، إنَّ لي جَارَيْنِ، فإلى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قال : « **إلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا** » [٢].

وعن كُريب مولى ابن عباس : أن ميمونةَ بنت الحارث رضي الله عنها أخبرته أنها أعتقت وليدةً ولم تستأذن النَّبيَّ ﷺ فلمَّا كانَ يومَها الذي يدورُ عَلَيْهَا فيه قالت : أَشَعَرْتَ يارسولَ الله أنِّي أَعْتَقْتُ وليدَتي ؟ قال : « **أَوَ فَعلْتِ** » ؟ قالت : نعم. قال : « **أما إنَّكِ لو أعْطَيتَها أَخوالَكِ كان أعظَمَ لأجرِكِ** » [٣]

معنى : « **وليدة** » أي : أمة من الإماء.

*****

١ - صحيح الترغيب : [٢٦٢٤]

٢ - البخاري : [١٠/ ٣٧٤] .

٣ - البخاري : [٢٥٩٤] في الهبة بمن يبدأ بالهدية ؟، ومسلم : [٩٩٩] في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين .

الإيثار وحب الخير

وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس، من الأموال وغيرها وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخاصة.

وهذا لايكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى، ومقدمة على شهوات النفس ولذاتها.

فالمسلم متى رأي مجالاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه.

*** ولقد ضرب النبيُّ ﷺ المثل الأعلى في الإيثار :**

عن سَهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه أنَّ امرَأَةً جَاءَت إلى رسول الله ﷺ بِبُردَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فقالت : نَسَجتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوَكَها، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحتَاجًا إليها، فَخَرَجَ إلينا وَإِنَّهَا لإِزَارُهُ، فقال فُلانٌ : اكسُنِيهَا مَا أَحسَنَهَا.

فقالَ : « نَعَمْ » فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ في المجلس، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرسَلَ بِهَا إِلَيْهِ :

فَقَالَ لَهُ القَوْمُ : ما أَحسَنتَ : لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحتَاجًا إليها، ثُمَّ سَأَلتَهُ، وَعَلِمتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً، فقال: إِنِّي والله ماسَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قال سَهْلٌ : فكانت كَفَنَهُ [1].

*** وقد تأسى الأنصار برسول الله ﷺ في الإيثار فأثنى اللهُ عليهم ومدحهم وأنزل فيهم قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة.**

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا

---

١ - البخاري : [٣/ ١١٣، ١١٤].

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ. فقال : إنِّي مَجْهُودٌ[1]، فأَرسَلَ إلى بَعضِ نِسائِهِ، فقالت : والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ ما عِنْدِى إلاَّ مَاءٌ، ثم أَرْسَلَ إلى أُخرى، فَقَالتْ مِثْلَ ذلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهنَّ مِثلَ ذلِكَ : لا والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ. فقال النبيُّ ﷺ :« **من يُضيفُ هذا الليْلَةَ ؟** ».

فقال رَجُلٌ مِن الأَنْصارِ : أنَا يارسُولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إلى رَحْلِهِ، فقالَ لامْرَأتِهِ : أكرمي ضَيْفَ رسولِ الله ﷺ. وفي رواية : قال لامْرَأَتِهِ : هل عِنْدِكِ شيء ؟ فقالتْ : لا، إلاَّ قُوتَ صبياني قال : عَلِّلِيْهم بِشَيءٍ وإذا أرَادُوا العَشَاءَ، فَنَوِّميهم، وإذا دَخَلَ ضَيْفُنَا، فأَطفئي السِّرَاجَ، وأريه أنَّا نأكُل، فَقَعَدُوا وأَكَلَ الضَّيفُ وبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَح، غَدَا عَلى النَّبيِّ ﷺ : فقال : « **لَقَد عَجِبَ الله مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيْلَةَ** ».

وفي رواية : قال ﷺ : « **لقدْ عَجبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أو ضَحِكَ من فُلانٍ وَفُلانة، فأنزل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾** [الحشر:٩] »[2]

وعنْ عبد الرَّحمن بْنِ عوفٍ رضي اللهُ عنه قال : لَمَّا قَدِمْنَا المدينةَ آخى رسولُ الله ﷺ بيني وبينَ سَعْدِ بْنِ الرَّبيع، فقال سَعْدُ بْنُ الرَّبيع، إنِّي أكْثَرُ الأنْصارِ مَالاً فَأقْسِمُ لكَ نِصْفَ مَالي، وَانْظُرْ أيَّ زَوْجَتَيَّ هَويتَ نَزَلْتُ لكَ عَنْهَا، فإذا حَلَّتْ تزوَّجْتَهَا. فقالَ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ : لا حَاجَةَ لي في ذلكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فيه تِجَارَةٌ ؟ »[3].

ولقد أتى أبا هريرة رضي اللهُ عنه رَجُلٌ. فقال : يا أبا هريرة إني أريد أن أؤاخيك في الله، فقال أبو هريرة : وهل تَدري ما حق الأخوة ؟ قال : لا، عرِّفني.

قال : إنَّ من حق الأخوة ألا تكون أحقَّ بدرهمك ولا دينارك مني. فقال الرجل : لم

---

١ – أي : أصابنى الجهد، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع .
٢ – متفق عليه : البخاري : [٣٧٩٨/ ١١٩/ ٧]، ومسلم : [٢٠٥٤/ ١٦٢٤/ ٣] .
٣ – البخاري : [٢٠٤٨/ ٢٨٨/ ٤] .

أبلغ هذه المنزلة.

قال : فإليك عني.[١]

وقال أبو جعفر لأصحابه يومًا : أَيُدْخِلُ أحدُكم يدَه في جيب أخيه فيأخذ من ماله مايريد ؟ قالوا : لا. قال : فلستم بإخوان كما تزعمون.[٢]

هذه صور تشكل أنموذجًا حيًّا لخلق المسلم في الإيثار وحب الخير لعل المسلم يورد عليها خاطره فيعود مشبعًا بروح حب الخير والإيثار.

فقد قال بعضُ السَلفِ : ما كنتُ لأقولَ لرجلٍ إني أحبُّك في الله فأمنعُه شيئًا من الدنيا.

وقال بعضُهم : إني لا أستحي من الله أن أسألَ الجنةَ لأخٍ من إخواني ثم أبخلَ عنه بدينارٍ أو درهم.

إذًا من حقِّ هذه الأخوةِ، ودلائلِ صدقِ هذه الرابطةِ، أن يَشعُرَ المسلمُ أن إخوانَه مظاهرونَ له في السراء والضراءِ، فـ«**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشدُّ بعْضُهُ بَعْضًا**»[٣]. ومن قَلَّ نصيرُه، وضعُفَ ظهيره، يبس عودُه، وذهبَ معدودُه، ومحدودُه، والإنسانُ بمفرده أضعفُ من أن يصمدَ طويلاً تجاه الشدائدِ، ولئن صمدَ فإنه يبذلُ من الجهدِ ويقاسي من المعاناةِ ماكان في غنىً عنه لو أن إخوانَه التفتوا إليه، وهرعوا لنجدتِه، وأعانوه في مشكلتِه، فالمرءُ قليلٌ بنفسِه كثيرٌ بإخوانِه.

إن تفريجَ كربِ المكروبين، وإغاثةَ الملهوفين، والسعيَ في حوائج الأراملِ واليتامى والمساكين، ومواساةَ الغرباءِ، وإنظارَ المعسرين، والإعانةَ على شتى نوائبِ الدهرِ، كلُّ ذلك موعود عليه بالإحسانِ وعظيمِ الجزاءِ في الدنيا والآخرة.

يقولُ نبيُّ الرحمة ﷺ : « **مَن نَفَّسَ، عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا، نَفَّسَ الله عَنْهُ**

---

١ - منهاج المسلم : ص١٣١ .

٢ - مختصر منهاج القاصدين : ص١٠٠ .

٣ - متفق عليه : البخاري : [٢٤٤٦]، ومسلم : [٢٥٨٥] .

كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القيامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ في الدُّنيَا والآخِرةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله في الدُّنيا والآخِرةِ، والله في عَوْنِ العَبدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخيه » [1]

* أخي في الله :

من حقِّ أخيكَ في الإسلامِ أن تتألَّمَ لألِمِه، وتحزنَ لحزنه، وتعينَه على دفع كُرَبِه. أما مَوتُ العاطفةِ وكأنَّ الأمرَ لايعني، فهو تنكرٌ لهذه الأخوةِ، فضلاً على أنه جفاءٌ في الخُلُقِ، وجمودٌ في الطبع. أين نحنُ من قول نبي الرحمة ﷺ: « **مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسهَرِ والحُمَّى** » [2].

والتألمُ الحقُّ هو الذي يدفعُك إلى كشفِ ضوائقِ إخوانِكَ، فلا تهدأُ حتى تزولَ الغمةُ، وتنكشفَ الظلمةُ، حينئذٍ يستنيرُ وجهُك، ويرتاحُ ضميرُك.

*****

١ - مختصر مسلم : [١٨٨٨]، وصحيح الجامع : [٦٥٧٧]، وصحيح الترغيب: [٦٧] .

٢ - متفق عليه : البخاري: [٦٠١١] في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم رقم [٢٥٨٦] في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

عيادة المريض

إن عيادة المريض تدخل السرور عليه وعلى أهله فتجلب المودة وتزيد المحبة لذا رغَّب رسول الله ﷺ فيها وجعلها حقًّا واجبًا للمسلم على أخيه المسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « حقُّ المسْلمِ على المسلمِ خمْسٌ : ردُّ السلامِ، وعيادَةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابَةُ الدعْوةِ، وتشْميتُ العاطِسِ » [١].

وفي رواية لمسلم : « حقُّ المسلم على المسْلمِ سِتٌّ ».

قيلَ : وما هُنَّ يارسولَ الله ؟ قال : « إذا لَقِيتَهُ فسلمْ عليه، وإذا دَعاك فأجبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحكَ فانصَحْ له، وإذا عَطسَ فحمِدَ الله فشمِّتْهُ [٢]، وإذا مرِضَ فعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ ».

وعنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ: يا بْنَ آدَم، مرِضْتُ فلَمْ تَعُدْني [٣]. قال : يا ربِّ ! كيفَ أعودُكَ وأنْتَ ربُّ العالَمِينَ ؟ قال : أما علِمْتَ أنَّ عبْدي فلانًا مرِضَ فلَمْ تَعُدْه ؟ أما عَلِمْتَ أنَّك لوْ عُدْتَهُ لوجَدْتَني عنده ؟

يا بْنَ آدَم، اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعِمني. قال : ياربِّ ! وكيف أُطْعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالَمِينَ؟ قال : أما عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعمَك عَبدي فلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟

أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ لوَجْدتَ ذلك عِنْدي ؟

يا بْنَ آدَم، اسْتَسْقَيْتُكَ فلَمْ تسْقِني. قال : ياربِّ ! وكيفَ أَسْقيكَ وأنْتَ ربُّ العَالمين؟ قال : اسْتَسْقاكَ عَبْدي فلانٌ فلَمْ تَسْقِه، أما إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذلك عندي » [٤].

---

١ – متفق عليه : البخاري : [١٢٣٩] باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم : [٢٠٦٦] وهو في صحيح الترغيب رقم : [٣٤٦٧].

٢ – وهذا نص في التشميت ليس من فروض الكفاية، بل هو فرض عين على كل من سمع حَمْدَه .

٣ – أضاف المرض إليه، والمراد العبد تشريفًا له وتقريبًا .

٤ – مسلم : [٢٥٦٩]، باب فضل عيادة المريض، وهو في صحيح الترغيب رقم : [٣٤٦٨] .

وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **عودوا المريضَ، واتَّبِعوا الجنائزَ تُذَكِّرُكُمُ الآخِـرَةَ** » (١).

وعنه ؛ أنَّه سمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « **خَمْسٌ مَنْ عمِلَهُنَّ في يوم كتبَهُ الله مِنْ أهلِ الجنَّةِ : مَنْ عادَ مريضًا وشهِد جنازةً، وصامَ يومًا، وراحَ إلى الجُمعَةِ، وأعْتَق رقَبةً** » (٢).

وعن معـاذ بْنِ جبـلٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خمْسٌ مَنْ فَعل واحدةً مِنْهُنَّ كان ضامِنًا على الله عزَّ وجلَّ : مَنْ عادَ مريضًا، أو خَرج معَ جَنازَةٍ، أو خَرج غازِيًا، أوْ دخَل على إمام يريدُ تَعْزيرَه وتوْقيرَه، أو قعَد في بَيْتِه فسَلِمَ الناسُ مِنْهُ وسَلِمَ مِنَ الناسِ** » (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **مَنْ أصْبَح منكمُ اليومَ صائمًا ؟** ».

فقال أبو بكْرٍ : أنا. فقال : « **مَنْ أطْعَم منكمُ اليومَ مسكينًا؟** ».

فقال أبو بكْرٍ : أنا. فقال: « **مَنْ تَبعَ منكمُ اليومَ جَنازَةً ؟** »

قال أبو بكْرٍ : أنا. قال : « **مَنْ عادَ منكم اليومَ مَريضًا ؟** ».

قال أبو بكْرٍ : أنا. فقال رسولُ الله ﷺ : « **ما اجْتَمعتْ هذه الخِصالُ قَطُّ في رجلٍ في يوم إلا دخَل الجَنَّةَ** »(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ عاد مريضًا ؛ ناداه منادٍ منَ السماءِ : طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ، وتَبَوَّأْتَ مِنَ الجنَّةِ مَنْزِلاً** ».(٥)

وفي رواية : « **إذا عادَ الرجلُ أخاه أو زارَه قالَ الله تعالى : طِبْتَ وطابَ مَمْشَاكَ،**

---

١ – صحيح الترغيب : [٣٤٦٩] .
٢ – صحيح الترغيب : [٣٤٧٠] .
٣ – صحيح الترغيب : [٣٤٧١] .
٤ – صحيح الترغيب : [٣٤٧٣] .
٥ – صحيح الترغيب : [٣٤٧٤] .

وتبوَّأْتَ مَنْزِلاً في الجنَّةِ ».

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ المسلِمَ إذا عادَ أخاه المسْلِمَ لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجنَّةِ حتى يرجعَ ».

قيلَ : يارسولَ الله ، وما خُرْفَةُ الجَنَّةِ ؟ قال : « جَناها ».[1]

« خُرْفَةُ الجَنَّة»: بضم الخاء المعجمة وبعدها راء ساكنة: هو ما يُخْتَرف من نخلها؛ أي: يُجتنَى.

وعن عليّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما مِنْ مسلم يعودُ مسلمًا غَدوةً ؛ إلا صلّى [2] عليه سَبْعون ألفَ ملَكٍ حتى يُمْسِيَ، وإنْ عادَ عَشِيَّةً ؛ إلاّ صَلّى عليهِ سَبْعون ألْفَ ملَكٍ حتى يُصْبِحَ، وكانَ له خَريفٌ[3] في الجَنَّةِ » [4].

ورواه أبو داود موقوفًا على عليّ.

ولفظ الموقوف :

« ما مِنْ رجلٍ يعودُ مريضًا مُمْسيًا إلا خرَج معه سَبْعون ألفَ مَلَكٍ يَسْتَغفِرونَ له حتى يُصْبِحَ، وكان له خريفٌ في الجنَّةِ، ومَنْ أتاه مُصْبِحًا خَرج معه سَبْعُون ألفَ مَلَكٍ يسْتَغْفِرونَ لَه حتى يُمْسِيَ، وكانَ له خريفٌ في الجَنَّةِ »

ورواه بنحو هذا أحمد وابن ماجه مرفوعًا، وزادا في أوله : « إذا عادَ المسْلِمُ أخاه مَشى في خرافَةِ الجَنَّةِ حتى يجلِسَ، فإذا جلَس غَمرتْهُ الرحْمَةُ » الحديث. وليس عندهما « وكان له خريف في الجنة ».

ورواه ابن حبان في « صحيحه » مرفوعًا أيضًا، ولفظه : « ما مِنْ امرئ مسْلِمٍ يعوُد مسْلِمًا ؛ إلا ابتَعَثَ الله إليه سَبْعين ألفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه، في أيِّ ساعاتِ النَّهارِ حتى

---

١ - مسلم: [٢٥٦٨/ ٤١]باب فضل عيادة المريض،صحيح الترغيب:[٣٤٧٥].

٢ - أي : دعا وبَرَّك .

٣ - أي : مخروف من ثمرها، فعيل بمعنى مفعول .

٤ - صحيح الترغيب : [٣٤٧٦] .

يُمْسِيَ، وفي أيِّ ساعاتِ اللَّيْلِ حتى يُصْبِحَ ».

ورواه الحاكم مرفوعًا بنحو الترمذي وقال :

« صحيح على شرطهما » [١].

قوله : « **في خرافة الجنة** » بكسر الخاء، أي : في اجتناء ثمر الجنة، يقال : خَرَفْتُ النخلة أخرفها، فشبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب، بما يحوزه المخترف من الثمر. هذا قول ابن الأنباري. [٢]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **مَنْ عادَ مريضًا لَمْ يَزَلْ يخوضُ في الرحْمَةِ حتى يَجْلِسَ ؛ فإذا جلَس اغْتَمسَ فيها** » [٣].

وعن كعْبِ بْنِ مالكٍ رضيَ الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **مَنْ عادَ مريضًا خاضَ في الرحْمَةِ، فإذا جلَس عندَهُ اسْتَنْقَع فيها** » [٤].

فعلينا أن نحرص على زيارة المريض وعيادته طمعًا في الأجر والثواب، وهروبًا من معاتبة الله.

* وأن نراعى آداب الزيارة:

منها : اختيار الوقت المناسب.

ومنها : تطيب خاطر المريض بالدعاء له.

ومن الأدعية المأثورة : « **لا بَأْس، طَهُورٌ إن شَاء الله** » [٥].

« **أَسْأَلُ الله العَظيمَ رَبَّ الْعَرْشِ العَظِيم أن يَشفِيَك** » [٦] سَبْعَ مَرَّات.

---

١ – صحيح الترغيب : [٣٤٧٦] .

٢ – صحيح الترغيب : [٣/ ٣٥٩] .

٣ – صحيح الترغيب : [٣٤٧٧] .

٤ – صحيح الترغيب : [٣٤٧٩] .

٥ – البخاري : [٥٦٥٦] باب عيادة الأعراب .

٦ – أبوداود [٣١٠٦] باب الدعاء للمريض عند العيادة، وصحيح الجامع : [٦٣٨٨] .

« اللَّهُمَّ ربَّ النَّاسِ، أذْهب البَأسَ، واشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لا شِفَّاءَ إلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سقَمًا » (١).

« اللَّهُمَّ اشف عبدك يَنكأ لك عدوًّا، أو يمشي لك إلى صلاة » (٢).

ومنها : وصية المريض بالصلاة؛ لأن كثيرًا من المرضى، إذا ناموا في فراش المرض تركوا الصلاة، معتذرين بأنهم لايقدرون على الطهارة، ولايقدرون على القيام، ولايقدرون على استقبال القبلة ونحو ذلك من الأعذار.

فنذكرهم بقول الله تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا ﴾[البقرة :٢٨٦].

وبقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦]

وبقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة :١٨٥].

وأنه يجب على المريض أن يتطهر بالماء فيتوضأ. فإن كان لايستطيع التطهر بالماء لعجزه أو خوفه من زيادة المرض أو تأخر برئه فإنه يتيمم.

ويجب عليه أن يطهر بدنه من النجاسات فإن كان لايستطيع صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

ويجب عليه أن يطهر ثيابه من النجاسات أو يخلعها ويلبس ثيابًا طاهرة فإن لم يستطع صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

ويجب أن يصلي الفريضة قائمًا. فإن كان لايستطيع الصلاة قائمًا صلى جالساً، فإن كان لايستطيع الصلاة جالسًا صلى على جنبه.

ومنها : تذكير المريض بقول النبيِّ ﷺ :

« إذا مرضَ العبدُ أوْ سافرَ، كتبَ الله تعالى لهُ منَ الأجرِ مثلَ ماكانَ يعملُ صحيحًا مقيمًا» (٣).

---

١ - متفق عليه: البخاري:[٥٧٤٥] باب رقية النبي ﷺ، ومسلم:[٢١٩٤] باب استحباب الرقية من العين
٢ - الصحيحة : [١٣٦٥]، أبو داود : [٢/ ١٦٦-١٦٧] .
٣ - صحيح الجامع : [٧٩٩]، والإرواء : [٥٦٠] .

ومنها : تذكير المريض بفضل المرض والصبر عليه.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **يوَدُّ أهلُ العافِيَةِ يومَ القِيامَةِ، حينَ يُعطَى أهْلُ البَلاءِ الثوابَ، لوْ أنَّ جُلودَهُمْ كانَتْ قُرِضَتْ بالمقَاريضِ** » [1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ الرجُلَ لَيكونُ له عندَ الله المنزِلَةُ، فما يَزالُ يَبْتَليهِ بما يكْرَهُ حتَّى يُبْلِغَهُ إيَّاها** » [2] وعن أسد بن كرزٍ رضي الله عنه، أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « **المريضُ تُحاتُّ خَطاياه كما يَتحاتُّ ورَقُ الشجرِ** » [3]

ومنها : أن لا يشق عليه بطول الجلوس عنده، إلا إذا علم من المريض نفسه حبّ البقاء.

*****

---

١ - صحيح الترغيب : [٣٤٠٤] .

٢ - صحيح الترغيب : [٣٤٠٨] .

٣ - صحيح الترغيب : [٣٤٢٦] .

إجابة الدعوة

فإذا دعاك أخوك لزيارته، أو وليمته، أو عرسه، فقد وجب عليك إجابته فإن ذلك مما يجلب المودة والمحبة، ويوطد الصلة ويقوي الأخوة.

*** لذا رغَّب النبيُّ ﷺ فى إجابة الدعوة، وحذَّر من التخلف عنها.**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله قال : «**إذا دُعِيَ أحدُكم إلى الوَليمَةِ فَلْيَأْتِها**» [١].

وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: « **إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعامٍ فليجبْ، فإنْ كانَ مفطرًا، فليأكلْ، وإنْ كانَ صائمًا فليصلِّ** » [٢].

معنى : « فَلْيُصلِّ »: فَلْيَدْعُ.

وعن ابن مسعود – رضِي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « **إذا دُعِي أحدكم إلى طعامٍ فليجبْ، فإنْ كانَ مفطرًا، فليأكلْ، وإنْ كانَ صائمًا فليدع بالبركةِ** » [٣].

والمعنى : فإذا حضرت إن كنت مفطرًا فكل، وإن كنت صائمًا فادع لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم، حتى لايكون فى قلبه شيء، وإن رأيت أنك إذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه فأفطر، إلا أن يكون الصوم صوم فريضة، فلاتفطر.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺقال : « **إذا دعا أحدُكم أخاه فَلْيُجِبْ، عُرْسًا كانَ أَوْ نَحْوَهُ** » [٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «**حقُّ المسلم على المسلم**

---

١ – صحيح الترغيب : [٢١٥٣].

٢ – صحيح الجامع: [٥٣٩]، و الإرواء : [١٩٥٣]، والصحيحة : [١٣٤٣].

٣ – صحيح الجامع : [٥٣٨].

٤ – مختصر مسلم: [٨٢٥]، وصحيح الجامع : [٥٢٩]، وآداب الزفاف [٧٢].

خمسٌ: ردُّ السلامِ، وعِيادَةُ المريض، واتِّباعُ الجنائز، وإجابَةُ الدعْوةِ، وتَشْميتُ العاطِسِ»[1]

وعن أبي أيوبَ الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: « ستُّ خِصالٍ واجِبَةٌ للْمُسْلِم على المسلم، مَنْ تركَ شيْئًا منْهُنَّ، فقد تَركَ حقًّا واجبًا: يُجيبُه إذا دَعاهُ، وإذا لَقيَهُ أنْ يُسَلِّمَ عليه، وإذا عَطَسَ أنْ يُشْمِتَهُ، وإذا مرِضَ أنْ يَعودهُ، وإذا ماتَ أنْ يَتْبَع جَنازَتَهُ، وإذا اسْتُنْصِح أنْ يَنْصَح لَهُ»[2].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « شَرُّ الطَّعامِ طعامُ الوليمةِ، يُمنَعُها مَنْ يأتيها، ويُدعى إليها مَنْ يأبها، ومَنْ لايُجِبِ الدَّعوةَ فقد عَصى الله ورسولَهُ»[3].

وفيه دليل على وجوب الإجابة لأن العصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « أجيبوا الداعِي، ولا تردُّوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين»[4].

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « للمُسلمِ على المسلمِ أربعُ خلالٍ: يُشمِّته إذا عطَسَ ويُجيبُه إذا دعاهُ، ويَشهَدُه إذا مات، ويعوده إذا مرض»[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « للمُؤمنِ على المُؤمنِ سِتُّ خصالٍ، يعُودُهُ إذا مَرِضَ، ويَشهَدُهُ إذا ماتَ، ويُجيبه إذا دَعاهُ، ويسلِّمُ عليه إذا لقيَهُ، ويُشمِّتُه إذا عَطسَ، ويَنصَحُ له إذا غابَ أو شَهِدَ»[6].

إلا أن إجابة الدعوة مشروطة بخلو المكان من المنكرات والمحرمات، فإذا وجدت

---

١ - صحيح الجامع: [٣١٥٠].
٢ - صحيح الترغيب: [٢١٥٧].
٣ - مختصر مسلم: [٨٢٧]، وصحيح الجامع: [٣٧٠٦]، والصحيحة: [١٠٨٤].
٤ - صحيح الجامع: [١٥٨]، والإرواء: [١٦١٦].
٥ - صحيح الجامع: [٥١٩٠]، والصحيحة: [٢١٥٤].
٦ - صحيح الجامع: [٥١٨٨]، والمشكاة: [٤٦٣٠].

سقط حق الداعي في الإجابة، وحرُم على المدعو أن يجيبه، إلا أن يقصد إنكارها ومحاولة إزالتها، فإن أُزيلت وإلا وجب الرجوع.

عن عليّ قال : صنعتُ طعامًا فدعوتُ رسول الله ﷺ فجاء فرأى في البيت تصاوير فرجع فقلت : يارسول الله، ما أرجعك بأبي أنت وأمي ؟ قال : « **إنَّ في البيت سترًا فيه تصاوير، وإنَّ الملائكةَ لاتدخلُ بيتًا فيه تصاوير** » [(١)]

وعن أبي مسعود – عقبة بن عمرو: « أنَّ رجلاً صنع له طعامًا، فدعاه، فقال : أفي البيت صورةٌ ؟ قال : نعم. فأبى أن يدخل حتى كسر الصورة، ثم دخل » [(٢)].

وقال البخاري :«ودعا ابنُ عمر أبا أيوب، فرأى في البيت سترًا على الجدار. فقال ابنُ عمر : غلبنا عليه النساء. فقال : من كنتُ أخشى عليه فلم أكن أخشى عليك، فوالله لا أطعم لكم طعامًا، فرجع» [(٣)]

وبوَّب الإمام البخاري – رحمه الله – في «صحيحه» في كتاب النكاح : باب من دُعي إلى وليمة فرأى منكرًا هل يرجع؟، ثم ذكر آثارًا عن الصحابةَ أنهم كانوا إذا دُعوا فرأوا منكرًا رجعوا إن لم يقدروا على تغيير هذا المنكر. [(٤)].

*****

---

١ – صحيح ابن ماجه : [٢٧٠٨][٣٣٥٩/ ١١١٤/ ٢].

٢ – آداب الزفاف : [٩٣].

٣ – البخاري : [٢٤٩/ ٩].

٤ – فتح الباري : [٢٤٩/ ٩].

الذب عن الأعراض

من حقوق أخوة الإيمان التي فرضها الله على المؤمنين أن يحمى عرضه ومالَه وأهله ودمه، وإذا اعتدى عليه أحد نصره وذبَّ عنه ودافع عنه فإن هذا يجلب المحبة.

*** وقد رغَّب النبي ﷺ فى نصر المظلوم، والذّب عن عرضه، وحذّر من التخلي عنه مع القدرة على نصره.**

فقال ﷺ : « ما مِن امرئٍ يَخْذُلُ امْرءًا مسلمًا في موطن يُنتَقَصُ فيهِ من عِرضهِ، ويُنتهَكُ فيهِ من حُرمَتِه، إلا خذلهُ اللهُ تعالى في موطنٍ يُحبٌّ فيهِ نُصرتَه، وما منْ أحدٍ ينصُرُ مسلمًا في مَوطنٍ يُنتقَصُ فيهِ من عِرضهِ، ويُنتهَكُ فيهِ منْ حُرمتهِ، إلا نصرَه اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرتَهُ» [١].

وقال ﷺ : « من حمى مؤمنًا من منافق بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم» [٢].

وقال ﷺ : « من ردَّ عن عِرضِ أخيه، ردَّ اللهُ عن وجههِ النارَ يومَ القيامة» [٣].

وقال ﷺ : « من ذبَّ عن عِرْضِ أخيهِ بالغَيْبة، كان حقًّا على الله أن يُعْتِقَهُ من النَّار» [٤].

وقال ﷺ : « من ردَّ عن عِرضِ أخيهِ، كان له حجاباً من النار» [٥].

وقال ﷺ : « مَنْ نصرَ أخاهُ بالغيْب نصرهُ الله فى الدنيا والآخرة» [٦].

---

١ - صحيح الجامع : [٥٦٩٠]، والمشكاة [٤٩٨٣].

٢ - صحيح أبي داود : [٤٠٨٦].

٣ - صحيح الجامع : [٦٢٦٢].

٤ - صحيح الجامع : [٦٢٤٠]، وغاية المرام [٤٣١].

٥ - صحيح الجامع : [٦٢٦٣]، وغاية المرام [٤٣١].

٦ - الصحيحة رقم : [١٢١٧].

وقال ﷺ: « انصُرْ أخاكَ ظالمًا أوْ مظلومًا» .

فقال رجلٌ : يارسولَ الله : أنْصُرهُ إذا كان مظلومًا، أفرأيتَ إن كانَ ظالِمًا، كيفَ أنصره؟ قال: «تَحْجُزُه أوْ تَمْنَعُهُ عنِ الظُّلمِ، فإنَّ ذلك نَصْرُه»[١].

وعن عبد الله – يعني ابن مسعود – رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « أُمِرَ بعبدٍ من عبادِ الله يُضرَبُ فِي قبره مائةَ جلدةٍ، فلم يزلْ يسألُ ويدعو حتى صارت جلدةً واحدةً، فامتلأ قبره عليه نارًا، فلما ارتفع وأفاق قال: على ما جلدتمونى؟ قال : إنك صليت صلاةً بغير طهورٍ، ومررتَ على مظلوم فلم تنصرْه» [٢].

ذلك لأن خذلان المسلم شيءٌ عظيمٌ، وهو – حين يحدثُ – ذريعةٌ إلى التخاذلِ بين المسلمين جميعًا.

بل لما هان المسلمون أفرادًا هانوا أممًا، فوهنتْ أواصرُ الأخوَه بينهم. بل وصِلَ الحالُ إلى أن أصبح المسلمُ يُنْقَصُ أمامَ أخيه فلا يحركُ ساكنًا، ولا يزيدُ على أن يَهزَّ كتفيه – إن هزَّهما – ويمضي لشأنه، وكأنَّ الأمر لا يعنيه.

وقد أوجب الله تعالى نصر المظلوم.

عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما قال :

أمرنا رسولُ الله ﷺ : « بعِيَادَةِ المرِيض، واتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإجَابَة الدّاعِي، وإفْشَاءِ السَّلام»[٣].

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الناسَ إذا رأوا الظالمَ، فلم يأخذوا على يديه، أوشكَ أن يَعُمَّهُمُ اللهُ بعقابٍ منهُ»[٤].

*****

---

١ – صحيح الترغيب رقم : [٢٢٣٥].

٢ – صحيح الترغيب : [٢٢٣٤].

٣ – متفق عليه: البخاري: [٥٨٦٣/ ٣١٥/ ١٠]، ومسلم: [٢٠٦٦/ ١٦٣٥/ ٣].

٤ – صحيح الجامع : [١٩٧٣]، والمشكاة : [٥١٤٢].

التحلي بمكارم الأخلاق

إن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وقد خص الله جل وعلا نبينا محمدًاﷺ بآية عظيمة جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب فقال جل وعلا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤]

*** وحُسن الخلق يوجب التحاب والتآلف، وسوء الخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتدابر .**

وقد حث النبيُّ ﷺ على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِلَ رسولُ اللهﷺ عَنْ أكْثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنَّةَ ؟ فقال : « **تقْوى الله وحُسنُ الخُلُقِ**»[١] .

*** وعدَّ النبيُّ ﷺ حسن الخلق من كمال الإيمان.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : « **أكملُ المؤمِنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا**»[٢] .

وهذا يدلُّ على أنَّ حُسْنَ الخُلقِ رُكْنُ الإسلام العظيم.

ولهذا حدّد رسول اللهﷺ الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين فى دعوته.

فقالﷺ : « **إنما بُعثْتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاقِ**»[٣]

ومما يدلُّ على أنَّ للأخلاقِ مكانةً عظيمةً أنَّ المؤمنينَ يتفاضلُونَ فى الإيمانِ وأنَّ أفضلهم فيه أحسنهم خلقًا.

---

١ - صحيح الترغيب : [٢٦٤٢].

٢ - صحيح الجامع : [١٢٣٠] ، والصحيحة : [٢٨٤].

٣ - صحيح الجامع : ٢٣٤٩] ، وصحيح الأدب المفرد : [٢٧٣] ، والصحيحة :[٤٥].

عن ابن عُمَرَ – رضي الله عنهما قال : كُنتُ مَعَ رسُولِ الله ﷺ فجاءَهُ رَجُلٌ من الأنصار، فسَلَّمَ علَى النبيِّ ﷺ ثمَّ قال : يارسولُ الله : أيُّ المؤمنينَ أفضلُ؟، قال : «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**» [١]

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شريكٍ قال :

كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّ على رُءُوسِنَا الطَّير، مَا يتكَلَّمُ منَّا أحَدٌ، إذْ جَاءَ ناسٌ مِنَ الأعْرَابِ فقالُوا : يَا رَسُولَ الله : أيُّ: النَّاسِ أَحَبُّ إلى الله ؟ فقال : « **أحَبُّ النَّاسِ إلى الله أحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[٢]

وقد كثرت وصاياه ﷺ بالحث على مكارم الأخلاق.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «**ما من شيءٍ أثْقَلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القيامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ**» [٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**إنَّ المؤمنَ ليُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درَجةَ الصائمِ القائم**» [٤].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في رَبَضِ الجنَّةَ لِمَنْ تركَ المِراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وببَيْتٍ في وَسَطْ الجنَّةِ لِمَنْ ترك الكَذِبَ وإنْ كانَ مازِحًا، وببَيْتٍ في أعْلى الجنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» [٥].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول :« **ألاَ أُخْبِرُكم بأحَبِّكُم إليَّ وأقْرَبِكُم منِّي مجْلِسًا يومَ القِيامَة ؟**» فأعادَها مرَّتينِ أو ثلاثًا.

---

١ – ابن ماجه [٤٢٥٩/ ١٤٢٣/١].

٢ – صحيح الجامع : [١٧٩] ، والصحيحة : [٤٣٣].

٣ – صحيح الترغيب : [٢٦٤١].

٤ – صحيح الترغيب : [٢٦٤٣].

٥ – صحيح الترغيب : [٢٦٤٨].

قالو : نعم يارسولَ الله : قال : « أَحْسنكُم خُلُقًا»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخْبِرُكُم بخِيارِكم ؟»
قالوا : بَلى يارسولَ الله : قال : « أطْوَلُكم أعْمارًا، وأحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا»[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أراد سفرًا فقال : يانبي الله : أوصني، قال : « اعْبدِ اللهَ لاتشرِكْ به شيئًا» .

قال : يا نبي الله : زِدني، قال : « إذا أَسأتَ فأحسِنْ».

قال : يا نبي الله : زِدنِي، فقال : « استَقِمْ، وليَحْسُنْ خُلُقُكَ»[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أحبَّكم إليَّ، أحاسِنُكم أَخْلاقًا، الموَطَّئونَ أكْنافًا، الذين يَأْلِفونَ، ويُؤْلفون، وإنَّ أبْغَضَكُم إليَّ، المشَّاءونَ بالنمِيمَةِ،المفَرِّقونَ بينَ الأحِبَّةِ، الملْتَمِسونَ للْبرآءِ العَيْبَ»[٤] .

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنّكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم، ولكنْ يسعهم منكم بَسْطُ الوجه، وحُسْنُ الخُلُق»[٥] .

*** فحسن الخلق أمرٌ لازمٌ وشرطٌ لابُدَّ منه للنَّجاةِ من النار والفوز بالجنَّةِ، وبالظفر بالقرب من النبي ﷺ يوم القيامة، وأنَّ إهمالَ هذا الشَّرْطِ يبطل الأعمال.**

قال ﷺ : « وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ كَما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَل»[٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رجلاً قال : يارسولَ الله : فُلانَةٌ تُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ

---

١ – صحيح الترغيب : [٢٦٥٠].
٢ – صحيح الترغيب : [٢٦٥١].
٣ – صحيح الترغيب : [٢٦٥٤].
٤ – صحيح الترغيب : [٢٦٥٨].
٥ – صحيح الترغيب : [٢٦٦١].
٦ – الصحيحة : [٩٠٦] وقال شيخنا رحمه الله – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٣/ ٢٠٩/ ٢].

صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، ولكنَّها تُؤذِي جيرانَهَا بِلِسانِها، فقال ﷺ : « هِيَ فى النَّار»، قال : يارسولَ الله : إنَّ فُلانةً تُذْكَرُ منْ قِلَّةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا ولكنَّها لا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فقال ﷺ : « هِيَ فِى الجنَّة»[1].

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ أحبَّكُم إليَّ وأقْرَبكم منِّي في الآخِرَةِ محاسِنُكمْ أخْلاقًا، وإنّ أبْغَضكُمْ إليَّ وأبْعَدَكُم منِّي في الآخِرةَ أَسْوَؤكم أخْلاقًا، الثرثارون المتفيهقون المتشدِّقون»[2].

« **الثرثار**»: هو الكثير الكلام تكلُّفًا.

و « **المتشدِّق**»: هو المتكلم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

و « **المتفيهق**»: أصله من (الفهق) وهو الامتلاء وهو بمعنى المتشدِّق لأن الذى يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه إظهارًا لفصاحته وفضله، واستعلاءً على غيره.

* وخلاصة حسن الخلق :

أن يكون كثير الحياء قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًّا وصولاً، وقورًا، صبورًا شكورًا، رضيًا حليمًا، وفيًّا عفيفًا، لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا، ولامغتابًا، ولا عجولاً ولا حقودًا، ولا بخيلاً ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا، يحبُّ فى الله، ويبغض فى الله، ويرضى فى الله، ويسخط فى الله.[3]

*****

١ - صحيح الترغيب : [٢٥٦٠]، وصحيح الأدب المفرد : [١١٩]، والصحيحة : [١٩٠].

٢ - صحيح الترغيب : [٢٦٦٢].

٣ - منهاج المسلم : ص١٦١، لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائرى- حفظه الله.

الزيارة في الله

*** كان النبيُّ ﷺ يحث على الزيارة في الله ويرغب فيها.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إنَّ رجُلاً زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أخرى، فأرْصَد الله تعالى له على مَدرَجتِه مَلَكًا، فلمّا أتى عليه قال: أينَ تُريدُ؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القَرْيَةِ، قال : هَلْ لك عليه مِنْ نِعْمةٍ تَربُّها ؟ قال : لا، غير أني أحْبَبْتُه في الله، قال : فإنِّي رسولُ الله إليكَ ؛ بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحْبَبْتَهُ فيه» (1)

«المَدْرَجَةُ »: بفتح الميم والراء : الطريق.

وقوله : «تَربُّها» : أي : تقوم بها وتسعى في صلاحها.

وعن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عادَ مريضًا، أو زارَ أخًا له في الله ؛ ناداه منادٍ : أنْ طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ، وتَبَوَّأْتَ مِنَ الجنَّةِ مَنْزِلاً» (2).

وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « ما مِنْ عبدٍ أتى أخاه يزورُه في الله، إلا ناداهُ منادٍ مِنَ السماء : أنْ طِبْتَ وطابَتْ لَكَ الجنَّةُ، وإلا قالَ الله في مَلكُوتِ عرشِه : عَبْدي زارَ فِيَّ، وعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَمْ يَرْضَ الله له بثَوابٍ دونَ الجنَّةِ» (3).

وعن أنسٍ أيضًا عنِ النبيِّ ﷺ قال :« ألا أُخْبِرُكم بِرِجالِكُم في الجنَّة ؟».

قلنا : بَلى يارسولَ الله ! قال : « النبيُّ في الجنَّةِ، والصدِّيقُ في الجنَّةِ، والرجلُ يزورُ أخَاه في ناحيةِ المِصْرِ لا يزورُه إلا لله في الجنةِ» (4).

---

١ – مسلم : [٢٥٦٧/١٩٨٨/ ٤]، وهو في صحيح الترغيب : [٢٥٧٧].

٢ – صحيح الترغيب: [٢٥٧٨]،وصحيح الجامع:[٦٣٨٧]، والمشكاة:[٥٠١٥]

٣ – صحيح الترغيب : [٢٥٧٩].

٤ – صحيح الترغيب : [٢٥٨٠]، وصحيح الجامع : [٢٦٠٤].

وعن معاذ بن جبلٍ رضيَ الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تبارَك وتعالى : وجَبَتْ محبَّتي لِلْمُتحابِّينَ فِيَّ، وللمُتَجالِسينَ فِيَّ، وِلِلْمُتَزاوِرِينَ فِيَّ، وِلِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ** » [1].

* وكان النبيُّ ﷺ يزور المسلمين بنفسه.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **انطلقوا بنا إلى بني واقفٍ نزور البصيرَ. رجل كان مكفوفَ البصرِ** »[2].

فتزاوروا إخواني في الله، ولله، أحيو هذه السنة العظيمة، سنَّة التزاور مع مراعاةِ آداب الزيارة.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا** » [3].

والمعنى : زور يومًا بعد يوم، أو أسبوعًا بعد أسبوع تزدد حبًّا.

فلا تكثر من زيارة الذي يحبك فيملّك، ولا تقلل فينْسَكَ، ولكن تخوله بالزيارة.

*****

---

١ - صحيح الترغيب : [٢٥٨١].

٢ - صحيح الترغيب : [٢٥٨٢]، والصحيحة : [٥١٥].

٣ - صحيح الترغيب : [٢٥٨٣]، وصحيح الجامع : [٣٥٦٨].

طلاقة الوجه

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

« لا تَحقِرنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا، ولوْ أَنْ تَلْقى أَخاكَ بوَجْهٍ طَليقٍ» [١]

وعن الحسن عن النبيِّ ﷺ قال : « مِنَ الصَدقَةِ أنْ تُسلِّم على الناس وأنْتَ طَليقُ الوَجْهِ» [٢]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ معروفٍ صدقَةٌ، وإنَّ من المعْروفِ أنْ تَلْقى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ، وأنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إناءِ أخيكَ» [٣]

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تَبَسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لكَ صدقَةٌ، وأمْرُكَ بالمعروف ونهيُكَ عنِ المنْكَرِ صدقَةٌ، وإرْشادُكَ الرجُلَ في أرض الضَّلالِ لكَ صدقَةٌ، وإماطَتُك الأَذى والشوكَ والعَظْمَ عنِ الطريقِ لك صَدَقَةٌ، وإفْراغُكَ مِنْ دَلْوِكَ في دَلْوِ أخيكَ لكَ صدَقَةٌ» [٤].

وعن أبي جُرَيّ الهجيمي رضي الله عنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ : يا رسولَ الله : إنا قومٌ مِنْ أهلِ الباديَةِ، فعلِّمنا شيئًا ينْفَعُنا الله به ؟ فقال : « لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْروفِ شَيْئًا، ولوْ أنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إناءِ المُسْتَقي، ولوْ أَنْ تُكَلِّمَ أخاكَ ووَجْهُك إليه مُنْبَسِطٌ، وإيَّاك وإسْبالَ الإزارِ، فإنَّه مِنَ المَخِيلَةِ، ولا يُحِبُّها الله، وإنِ امْرؤٌ شَتَمك بما يَعْلَمُ فيك، فلا تَشْتُمْهُ بما تَعْلَمُ فيه، فإنَّ أجْرَهُ لكَ، وَوبَالَهُ على مَنْ قَالَهُ» [٥].

وسُئِلَ بعضُ الحكماءِ : من أضيقُ الناسِ طريقًا وأقلُّهم صديقًا ؟ قال : من عاشرَ

---

١ - مسلم : [٢٦٢٦] في البر والصلة، وصحيح الترغيب : [٢٦٨٢].

٢ - صحيح الترغيب : [٢٦٨٣].

٣ - صحيح الترغيب : [٢٦٨٤].

٤ - صحيح الترغيب [٢٦٨٥].

٥ - صحيح الترغيب : [٢٦٨٧]، والصحيحة [٣٤٢٢].

الناسَ بعُبوسِ وجههِ، واستطالَ عليهم بثقلِ نفسِه. وما تزيَّنَ رجلٌ بزينةٍ أفضل من عفافِ بطنه.

التواضــع

*** الناس يحبون المتواضع لهم، ويكرهون المتعالي المستكبر عليهم.**

والتواضع خلق عظيم من أبرز صفات سيد الأولين والآخرين، وعباد الله الصالحين، وقد أمر الله به وأثنى على أهله فقال سبحانه: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٥].

وقال سبحانه فى الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة :٥٤].

وقال سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

وقال سبحانه فى جزاء المتواضعين : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص :٨٣].

*** ولقد ضرب النبيُّ ﷺ المثل الأعلى فى التواضع.**

عن أنس رضي الله عنه قال : « إنْ كانَتِ الأَمَةُ من إمَاءِ المدينةِ لتأخُذُ بيَدِ النبيِّ ﷺ، فَتَنْطلقُ به حَيثُ شَاءَتْ»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «لَو دُعِيْتُ إلى كُرَاعٍ أو ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْديَ إليَّ ذِراعٌ لَقَبلْتُ»[2] .

*** وأمر ﷺ بالتواضع ورغب فيه.**

عن عياض بن حمـار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله أوْحىَ إليَّ أن

---

١ - البخاري : ١٠/٤٠٨، ٤٠٩.

٢ - البخاري : ٥/١٤٧.

تَواضَعوا، حتّى لايَفْخَر أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يَبْغِي أحَدٌ على أحَدٍ» [١].

وعن ثوبانَ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : «مَنْ ماتَ وهو بريءٌ مِنَ الكِبْرِ والغُلولِ والدَّيْنِ دخَلَ الجنَّةَ» [٢].

*** وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن من تواضع لله رفعه الله.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « ما نَقصتْ صدقَةٌ مِنْ مالٍ، وما زادَ الله عبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا، وما تَواضَع أحَدٌ لله إلا رفَعَهُ الله» [٣]

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « ما مِنْ آدَميٍّ إلا في رأْسِهِ حَكَمَةٌ بيدِ مَلَك، فإذا تَواضَع قيلَ لِلْمَلَكِ : ارْفَعْ حَكَمَتَهُ، وإذا تكَبَّر قيلَ لِلْمَلكِ : ضَعْ حَكَمَتَهُ» [٤].

*** كما جرت سنة الله تعالى أن من تكبَّرَ أذَلَّهُ الله ووضعه.**

عن عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جدّه، عن النبيِّ ﷺ قال : « يُحْشَرُ المتكَبِّرونَ يومَ القِيامَةِ أمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرجَالِ، يَغْشاهُمُ الذُّلُّ من كُلِّ مكانٍ، فيُساقُون إلى سِجْنٍ في جهنَّمَ يُقالُ له : بُولَسُ، تَعْلوهُمْ نارُ الأَنْيارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصارَةِ أهْلِ النارِ : طينَةِ الخَبالِ» [٥]

لذا كان النبيُّ ﷺ يحذِّر من الكبر.

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَدْخُل الجنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» [٦].

---

١ - صحيح الجامع : [١٧٢٥]، والصحيحة : [٥٧٠].
٢ - صحيح الترغيب : [٢٨٩٢].
٣ - مسلم : [٢٥٨٨] باب استحباب العفو والتواضع.
٤ - صحيح الترغيب : [٢٨٩٥].
٥ - صحيح الترغيب : [٢٩١١].
٦ - مسلم : [٩١]، وهو في صحيح الترغيب رقم : [٢٩١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعْجِبُه نَفْسُه، مُرَجِّلٌ رأْسَه يَخْتالُ في مشْيَتِه إذْ خسَف الله بِهِ، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرْضِ إلى يَوْمِ القِيامةِ» [1].

وعن ابن عمرَ رضـي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « مَنْ تَعظَّم في نَفْسِه أو اخْتَال في مِشْيَتِه، لَقِي الله تبارك وتعالى وهو عليه غَضْبانُ» [2]

فيا أيها المتكبِّرُ النَّاظِرُ في عِطْفَيْهِ، المُتعاظِمُ في نَفْسِهِ، هوِّن عليك، وارْفُقْ بنَفْسِكَ، وَتَدَبَّرْ كَلامَ رَبِّ العالمين.

﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [الإسراء :٣٧].

وقوله سبحانه : ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ الله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨].

وقوله سبحانه:﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٣].

وقوله سبحانه : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧٢].

وقوله سبحانه : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف :١٤٦].

وقوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥].

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

---

١ - متفق عليه : [البخاري : ١٠/ ٢٢١، ٢٢٢]، ومسلم : [٢٠٨٨].

٢ - صحيح الترغيب : [٢٩١٨].

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٨].

* وللكبر علاجٌ قد ذكره العلماءُ :

أولاً : أن يعرفَ الإنسانُ ربَّهُ ويَعْرِفَ نفسَهُ، فإنَّهُ إذا عَرَفَ رَبَّهُ حَقَّ المعرفةِ علِمَ أنه لا تليقُ العظمةُ والكبرياءُ إلا بالله، وإذا عرفَ نَفْسَهُ عَلِمَ أنه ضعيفٌ ذليلٌ لا يليق به إلا الخضوعُ لله والتواضعُ والذِلَّةُ.

قال الله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ [عبس:١٧-٢٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠].

وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾[المعارج:٣٩].

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:٥-٦].

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة:٧-٨].

فمن كان هذا أَولُهُ، وهذه أحْوَالُهُ، فَمِنْ أين له البَطَرُ والأشَرُ والكبرياءُ والخيلاءُ؟.

وآخره أنه يُسْلَبُ رُوحُه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحِسُّهُ وإدراكه وحركتُهُ وجمالُهُ وجميعُ أحواله، ثم يوضع فى التراب فيصيرُ جيفةً مُنتنًا، تَبْلَى أعضاؤُهُ وتتفتتُ أجزاؤُهُ، وتَنْخُرُ عِظَامُهُ ويصيرُ رُفاتًا، ويأكُلُ الدُوْدُ أجْزَاءَه، ويكونُ جيْفَةً يَهْرَبُ منه كُلُّ حيوانٍ، ويستَقذِرُهُ الإنسان، وأحْسَنُ أحوالِهِ أن يعودَ ترابًا كما كان، ثم يحييه الذي خلقهُ أولَّ مَرَّةٍ، فيخرجُ من قبره كما أخبر الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣].

فينظر إلى قيامةٍ قائمةٍ، وسماءٍ مُنْفَرِجةٍ مشققةٍ، وأرضٍ مُبدلةٍ، وجبالٍ مُسيرةٍ، ونُجومٍ مُنكدرةٍ، وشمسٍ مُنْكَسِفةٍ، وأحْوالٍ مُظلمةٍ، وملائكةٍ غلاظٍ شدادٍ، وجهنَّمَ تزْفُرُ. قال الله

تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر :٢٣] ينظر إليها المجرمُ فيتحسَّرُ، ويرى صحائفَ منشورةً، فيقالُ : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء : ١٤] .

فيه جميع عملِهْ من أوَّلِهِ إلى آخِرِه : ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة :١٣]، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]

فهذا من أحسنِ الطرقِ لتذْليلِ النفسِ وَحَمْلِهَا على الخضوع والتواضع للهِ الذي له الكبرياءُ في السمواتِ والأرض وهو العزيز الحكيم.

ومن هنا حقّ على كل مسلم أن يخفضَ جناحَه للمؤمنين ولا يتكبَّر عليهم، وأن يعلم أن الكبر لايزيد المتكبر إلا ضعةً، وأن التواضعَ لايزيد المتواضعَ إلا رفعة.

وحسبك قول القائل :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ ... على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تك كالدُّخَانِ يعلو بنفسهِ ... إلى طبقات الجوِّ وهو وضيعُ

*****

الزهد عمّا في أيدي الناس

عن سَهْل بنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قالَ : أتى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَارسُولَ الله : دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إذا أنا عَمِلْتُهُ أحَبَّني اللهُ وَأحَبَّني النَّاسُ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **ازْهَدْ في الدُّنْيا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا في أيْدي الناسِ يُحِبُّوكَ** »[1].

اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين.

إحداهما: الزهد في الدنيا وأنه مقتضٍ لمحبة الله عزَّ وجلَّ لعبده.

والثانية: الزهد فيما في أيدي الناس فإنه مقتضٍ لمحبة الناس.

وليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك في يديك، وأن تكون حالك في المصيبة حالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحقِّ سواء، فالزهد إذًا معناه : إيثار الآخرة على الدنيا مع القدرة على الدنيا، وليس معناه ترك الدنيا بالكلية، ولاترك العمل فيها والقعود عن تعميرها، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أزهدّ الناس في الدنيا، ومع ذلك عملوا بالتجارة والزراعة، وكانت لهم الأموال الطائلة، ولكن لم تلههم التجارة والزراعة عن ذكر الله فكانوا كما وصفهم الله تعالى : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ(٣٦) رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ(٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

فالزهد في الدنيا من أسباب محبة الله لعبده.

ومحبته سبحانه منزلةٌ عليا، ومرتبةٌ عظمى تَنَافَسَ فيها المتنافسون، ومن أجلها شَمَّر

---

١ - صحيح الترغيب : [٣٢١٣].

المتسابقون، وبرَوْح نسيمها رَوح العابدون. محبة الله قوتُ القلوبِ، وقرةُ العيونِ وبهجةُ النفوسِ، من رُزقها ذهب بشرف الدنيا والآخرة، ومن حُرِمَها فهو في دياجير الظلماتِ بل في عداد الأموات.

فربُّكَ يحبُّ المتقينَ، ويحبُّ المحسنينَ، ويحبُّ الصابرين، وهو يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، ويحبُّ المتوكلين، ويحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيانٌ مرصوص، ويحبٌّ الزاهدين في الدنيا، ويحبُّ من العمل ماداومَ عليه صاحبُه، ويحبُّ أن تؤتى رخصُه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمُه.

*** الوصية الثانية :**

« وازْهَدْ فِيمَا في أيدي الناسِ يُحِبُّوكَ الناس».

إن حب الله للعبد من سبب سعادته الأبدية، وحب الناس للإنسان سبب سعادته الدنيوية، والعاقل من حرص على سعادة الدنيا والآخرة.

ومن الأسباب التي تجلب للعبد محبة الناس أن يزهد عما في أيديهم لذا تكاثرت الأحاديث عن النبيِّ ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم.

عن أنس رضي الله عنه قال : قال ﷺ :« **ازهدْ في الدنيا يحبكَ اللهُ، وأمَّا الناسُ فانبذ إليهمْ هذا يحبُّوكَ**»[1].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ بسبع : « **بحُبِّ المساكين وأن أدْنو منهم، وأنْ أنظُرَ إلى من هو أسفلَ منِّي ولا أنظُرَ إلى من هو فوقي، وأن أصلَ رحمي وإن جفاني، وأن أكثرَ من لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، وأنْ أتكلَّمَ بمرِّ الحقِّ، ولا تأخُذني في الله لَوْمَة لائمٍ، وأن لا أسألَ النَّاس شيئًا**» [2].

---

١ - صحيح الجامع رقم [٩٢٣]، والصحيحة رقم [٩٤٤].

٢ - السلسلة الصحيحة رقم [٢١٦٦] وابن حبان في صحيحه [٢٠٤١].

وعن عليٍّ رضي اللهُ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتاني جبريلُ فقال : يا محمدُ عشْ ما شئتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ منْ شئتَ فإنك مفارقه، واعمل ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به، واعلم أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُ الليل، وعزَّهُ استغناؤه عن الناس**»[1] ولذا قال الحسن : لا تزال كريمًا على الناس ولايزال الناس يكرمونك، مالم تتعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك، ولذلك قيل : استغن عمن شئت فأنت نظيره، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره.

وكان عمر يقول في خطبته على المنبر : إن الطمع فقر وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا أيس من شيء استغنى عنه.

وروي أن عبد الله بن سلام لقي كعب الأحبار عند عمر، فقال ياكعب :

مَنْ أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون به، قال : فما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعقلوه ؟ قال : يذهبه الطمع وشره النفس وتطلُّب الحاجات إلى الناس، قال: صدقت.

فمن سأل الناس ما بأيديهم كرهوه وأبغضوه؛ لأن المال محبوب لنفس بني آدم، فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه لذلك.، وأما من زهد فيما في أيدي الناس وعفَّ عنهم فإنهم يحبونه ويكرمونه لذلك ويسود به عليهم كما قال أعرابي لأهل البصرة من سيد أهل هذه القرية ؟ قالوا : الحسن، قال : بم سادهم ؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم.[2]

*****

١ - السلسلة الصحيحة رقم [٨٣١] وقال الشيخ - رحمه الله - أخرجه الطبراني في الأوسط [١/ ٦١/ ٢] ، وأبو نعيم في " الحلية " [٣/ ٢٥٣] ، والحاكم [٤/ ٣٢٤-٣٢٥].

٢ - بتصرف : جامع العلوم والحكم ص ٢٦٤.

السِّـــتر

لقد جرت العادة أن الناس يحبون من يسترهم، ويكرهون من يفضحهم، ومن أسماء الله تعالى السِّتير، وهو سبحانه يحبُّ السِّتر.

عنْ يعلى بنِ أميَّة أن رسولَ الله ﷺقال : « **إنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ حَييٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ** » (١)

* ولقد كان النبيُّ ﷺ يدعو إلى الستر ويحثُّ عليه ويرغِّب فيه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺقال : « **مَنْ نَفَّسَ عن مسلمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدنيا، نَفَّس الله عنه كُرْبَةً مِنْ كُربِ يوم القيامَةِ، ومَنْ ستَرَ على مسلمٍ، سَتَرَهُ الله في الدنيا والآخِرَةِ، والله في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العبدُ في عوْنِ أَخيهِ** » (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺقال : « **لا يَسْترُ عَبدٌ عبدًا في الدنيا، إلا سَتَرَهُ الله يومَ القيامة** » (٣).

وعن محكولٍ : أنَّ عقبة بنَ عامرٍ أتى مَسْلَمَة بنَ مُخَلَّدٍ، فكان بيْنَهُ وبينَ البوَّابِ شيء، فسمعَ صوتَهُ فأَذِنَ له فقال له : إنني لَمْ آتِكَ زائرًا، جئْتُكَ لحاجَةٍ، أتذكُر يومَ قال رسولُ الله ﷺ « **مَنْ عَلِمَ مِنْ أخيه سيِّئَةً فستَرَها، ستَرَ الله عليه يومَ القِيامةِ** » (٤).

قال : نَعم.

قال : لِهذا جِئْتُ.

وعن رجاء بن حَيْوَةَ قال : سمعت مسلمةَ بن مُخَلَّدٍ رضي الله عنه يقول :

بينا أنا على مِصرَ فأتى البوابُ فقال : إن أعرابيًّا على الباب يستأذنُ، فقلتُ : من

---

١ – صحيح الجامع : [١٧٥٦]، والمشكاة : [٤٤٧]، والإرواء : [٢٣٣٥].

٢ – مختصر مسلم : [١٨٨٨]، وصحيح الجامع : [٦٥٧٧].

٣ – مختصر مسلم : [١٧٧٧]، وصحيح الجامع : [٧٧١٣].

٤ – صحيح الترغيب : [٢٣٣٦].

أنت؟ قال : أنا جابر بن عبد الله. قال : فأشرفتُ عليه فقلتُ : أَنْزِلُ إليك أو تصعدُ ؟ قال : لا تنزلُ ولا أصعدُ، حديثٌ بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن، جئتُ أسمعه. قلتُ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **من سترَ على مؤمنٍ عورةً، فكأنما أحيا موءودةً**»[1] فضربَ بعيره راجعًا.

* وكان ﷺ يُحَذِّر من تتبُّع العورات وكشفِها وإذاعةِ الأسرار.

عن ابن عباسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال :

« **من سترَ عورةَ أخيه، سترَ اللهُ عورتَه يوم القيامةِ، ومن كشفَ عورة أخيه المسلمِ، كشفَ اللهُ عورتَه، حتى يفضحَه بها في بيتِهِ**» [2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : صَعِد رسولُ الله ﷺ المنبرَ فنادى بصوتٍ رفيع فقال : « **يامعشرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلسانه، ولَمْ يُفضِ الإيمانُ إلى قلْبِه : لا تُؤذوا المسْلِمِينَ، ولا تَتَّبِعوا عَوْراتِهِمْ، فإنَّه مَنْ تَتَبَّعَ عوْرَةَ أخيهِ المسْلمِ، تَتَبَّع الله عورَتَهُ، ومَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، يَفْضَحُه، ولوْ في جَوْفِ رَحْلِه**» [3].

ونَظَر ابْنُ عُمرَ يومًا إلى الكعبةِ فقال : ما أعْظَمَكِ : وما أعْظَم حُرْمَتكِ : والمؤمنُ أعظَمُ حُرمةً عندَ الله منكِ.

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « **إنَّك إنِ اتَّبَعْتَ عَوْراتِ المسلمينَ أفْسَدْتَهم، أو كِدْتَ تُفسِدُهم**» [4] فمن تتبعَ عوراتِ الناسِ وتلمَّسَ معايبهم كشفَ اللهُ سِتَرَه، وفضحَه في عورتِه،

قال الإمامُ مالكٌ – رحمه الله :

١ - صحيح الترغيب : [٢٣٣٧].
٢ - صحيح الترغيب : [٢٣٣٨].
٣ - صحيح الترغيب : [٢٣٣٩].
٤ - صحيح الترغيب : [٢٣٤٢].

أدرَكْنا قومًا لم تكنْ لهم عوراتٌ فذكروا عيوبَ الناسِ فذكر الناسُ لهم عيوبًا، وأدركنا أقوامًا كانت لهم عيوبٌ فكفوا عن عيوبِ الناسِ فنُسيتْ عيوبهم.

فمن أحبَّ أن يستره الله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:٩]

ويظهر ما كان في القلوب، من خير وشر، على صفحات الوجوه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران :١٠٦] وذلك على رءوس الأشهاد: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران : ٣٠] وقال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران:١٨١]، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨].

﴿يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة : ١٢٣]، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل:١١١]، ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠]، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧]

فمن أحبَّ أن يستره الله فعليه بستر إخوانه المسلمين.

*****

حفظ السـر

*** إن حفظ السّر من الأمور التى تجلب المحبة.**

والسّر هو ما يقع خفية بينك وبين صاحبك، ولايحل لك أن تفشي هذا السر أو أن تبينه لأحد، سواء قال لك لا تبينه لأحد، أو عُلم بالقرينة الفعلية أنه لايحب أن يطلع عليه أحد، أو عُلم بالقرينة الحالية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد.

مثال الأول : اللفظ، أن يحدثك بحديث ثم يقول : لا تخبر أحدًا، هو معك أمانة.

ومثال الثاني : القرينة الفعلية، أن يحدثك وهو في حال تحديثه إياك يلتفت، يخشى أن يكون أحد يسمع، لأن معنى التفاته أنه لا يحبّ أن يطلع عليه أحد.

عن جابر رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺقال : « **إذا حدّث رجلٌ رجُلاً بحديثٍ ثُمَّ الْتَفَت، فهو أمانَةٌ**»[1].

ومثال الثالث : القرينة الحالية، أن يكون هذا الذي حدثك به أو أخبرك به من الأمور التى يستحيي من ذكرها أو يخشى من ذكرها أو ما أشبه ذلك، فلا يحل لك أن تبيّن وتفشي هذا السر.

*** وإليك هذه النماذج المشرفة في حفظ السّر:**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه حين تَأَيَّمتْ بِنْتُهُ حفْصةُ قال : لقيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّان رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ علَيْه حفصةَ فَقلتُ : إنْ شئتَ أنكَحْتُكَ حَفْصَةَ بنْتَ عُمرَ ؟ قال : سَأَنْظرُ في أمْري فَلبثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقيني فقالَ : قد بدا لي أنْ لا أتَزَوَّجَ يوْمي هذا، فَلَقيتُ أبا بكْرَ الصِّديقَ رضي الله عنه. فقلتُ : إن شئْتَ أنكَحْتُكَ حَفْصةَ

١ - صحيح الترغيب : [٢٠٢٥].

بنْتَ عُمرَ، فصمتَ أبو بكْر رضي الله عنه، فَلَمْ يرْجعْ إليَّ شَيْئًا ! فكُنْتُ عَلَيْه أوجَد منِّي على عُثْمانَ، فَلَبِثْتُ ليَالي، ثُمَّ خطَبَهَا النَّبى ﷺ، فأنْكَحْتُها إيَّاهُ، فلَقينَي أَبُو بكْرٍ فقال: لَعَلَّكَ وجَدْتَ عليَّ حينَ عَرضْتَ عليَّ حفْصة فَلَمْ أرْجعْ إلْيكَ شَيْئًا ؟ فقلت : نَعمْ. قال : فإنه لمْ يَمْنعْني أنْ أرْجِعَ إلَيْكَ فيما عرضْتَ عليَّ إلاَّ أنِّى كُنْتُ علَمْتُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ ذكرَها، فَلَمْ أكُنْ لأفْشيَ سِرَّ رسول الله ﷺ، ولوْ تَركَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا.[1]

قوله: (تَأيَّمَتْ) أي : صارَتْ بِلا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّي رضي الله عنه. (وَجَدْتَ) : غضِبْتَ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ : كُنَّ أزْواجُ النَّبيِّ ﷺ عنْدهُ، فَأقْبلتْ فَاطمةُ رضي الله عنها تمْشى. مَا تَخْطئُ مشْيتُهَا مِنْ مشْيَةَ رسول الله ﷺ شَيْئاً، فَلَمَّا رآها رَحَّبَ بها وقال : «مرْحبًا بابْنَتى » ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمينه أوْ عنْ شماله. ثُمَّ سارَّها فَبَكتْ بُكاءً شديدًا، فلَمَّا رَأىَ جَزَعَها سَارَّها الثَّانية فَضَحكَت، فقُلْتُ لَهَا: خصَّك رسول الله ﷺ من بيْنِ نسائِهِ بالسِّرارِ، ثُمَّ أنْت تَبْكين ؟ فَلَمَّا قَام رسولُ الله ﷺ سألْتُهَا : ما قال لك رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : ما كُنْتُ لأفْشى عَلى رسول الله ﷺ سرَّهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ قلتُ : عَزَمْتُ عَلَيْك[2] بمَا لي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حدَّثْتنى ما قال لك رسولُ الله ﷺ؟ فقالتْ: أمَّا الآنَ فَنعم، أما حين سَارَّني في المَرَّةَ الأولى فَأخْبَرني « أنَّ جِبْريل كَان يُعارضُهُ القُرْآن فى كُلِّ سَنَةٍ مَرَّة أوْ مَرَّتَيْن، وأنَّهُ عَارَضهُ الآنَ مَرَّتَيْن، وإني لاَ أرَى الأجَلَ إلاَّ قد اقْتَرَب، فاتَّقي الله واصْبِري، فَإنَّهُ نعْم السَّلَف أنَا لكَ» فَبَكَيْتُ بُكَائيَ الَّذى رأيْتَ، فَلَمَّا رَأى جَزعي سَارَّنَي الثَانيةَ، فقال : « يَا فَاطمةُ أما تَرْضينَ أنْ تكُوني سيِّدَةَ نِسَاء المُؤْمنينَ، أوْ سَيِّدةَ نساءِ هذِهِ الأمَّةِ؟» فَضَحِكتُ ضَحِكَي الَّذِي رأيْتِ، متفقٌ عليه[3] وهذا لفظ مسلم.

---

١ – صحيح : البخاري [٤٠٠٥] في المغازي ، باب (١٢).

٢ – أي: أقسمت عليك.

٣ – متفق عليه : البخاري [٦٢٨٥، ٦٢٨٦] في الاستئذان ، باب من ناجى بين يدي الناس، ومسلم (٢٤٥٠/٩٨) في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي – رضي الله عنها –.

وعن ثابتٍ عن أنس، رضي الله عنه قال : أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألْعبُ مع الْغِلْمان، فسلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثني في حاجة، فَأبْطأتُ على أُمِّي، فَلَمَّا جِئتُ قالت : ما حَبَسَكَ ؟ فقلتُ : بَعَثَني رسولُ الله ﷺ لحَاجَةٍ، قالت : ما حَاجتُه ؟ قلت: إنَّهَا سرٌّ. قالتْ : لا تُخْبِرَنَّ بسِرِ رسول الله ﷺ أحدًا. قال أنسٌ : والله لوْ حدَّثْتُ بِهِ أحَدًا لحدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِت. رواه مسلم [1]. وروى البخاري بَعْضَهُ مُخْتصرًا.

*** يستفاد من حديث أنس رضي الله عنه :**

أولاً : حسن خلق النبى ﷺ وتواضعه الجم وأنه – على شرفه ومكانته وجاهه عند الله وعند خلقه – يتواضع حتى يسلم على الصبيان وهم يلعبون فى السوق.

ثانيًا : أنه يسنّ للإنسان أن يسلم على من مرَّ به ولو كان من الصبيان.

ثالثًا : جواز إرسال الصبي بالحاجة لكن بشرط أن يكون مأمونًا.

رابعًا : مراعاة الوالدة والأهل، وأن الإنسان إذا أراد أن يقضي حاجة وخاف أن يبطئ عليهم، أن يخبرهم.

خامسًا : أنه لايجوز للإنسان أن يبدي سرّ شخص حتى لأمه وأبيه.

فلو أن إنسانًا أرسلك في حاجة، ثم قال لك أبوك : ما الذي أرسلك به ؟، لا تخبره، أو قالت أمك : ما الذي أرسلك به ؟ لا تخبرها؛ لأن هذا من أسرار الناس ولايجوز إبداؤها لأحد.

سادسًا : حسن تربية أم أنس لابنها حيث قالت : لاتخبرن أحدًا بسر رسول الله ﷺ وإنما قالت له ذلك - تأييدًا له وتثبيتًا له.

فياليت الآباء والأمهات يتأدبوا بهذه الآداب!.

*****

---

١ – صحيح : مسلم [٢٤٨٢] في فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك ورواه أيضًا البخاري مختصرًا [٦٢٨٩] في الاستئذان ، باب حفظ السر.

النصيحة

إن النصحيةَ من الأسباب التي تجلب المحبة والمودة لأنها لا تكون إلا من مؤمن أمين، بل هي من أبرز صفات النبيين والمرسلين، وعباد الله الصالحين.

قال الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ(٦٠) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٢]

وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ(٦٥) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنْ الْكَاذِبِينَ(٦٦) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ.... ﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٨].

وقال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام: ﴿ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وقال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣]، ورسولنا الكريم ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، قال الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٤٥)وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦)وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا(٤٧)وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨]، وقال تعالى عن الرجل الذي جاء من أقصى المدينة: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ... ﴾ [القصص: ٢٠-٢١].

* **والنصيحة حق واجب للمسلم على أخيه المسلم.**

قال ﷺ : « **للمُسْلمِ على المسْلمِ سِتٌّ : يُشمِّتُه إذا عَطسَ، ويعودُه إذا مَرِضَ، وينْصَحُه إذا غاب أو شَهِدَ، ويُسَلِّمُ عليه إذا لَقِيَهُ، ويُجيبُه إذا دَعاهُ، ويتَّبِعُه إذا مات**»(١)

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بَايَعْتُ رَسولَ الله ﷺ على : « إقامِ الصَّلاةِ، وإيتَاءِ الزَّكاةِ، والنُّصْحِ لكلِّ مُسْلِم» (٢).

وقال ﷺ : « **إنما الدِّينُ النصحُ**» (٣).

وقال ﷺ : « **الدِّينُ النَّصيحةُ**» ثلاثًا، قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : « **لله عزَّ وجل ولكتابه ولرسوله ﷺ وللأئمَّةِ المُسلِمينَ وعامَّتهمْ**» (٤).

والنصيحة لله عزَّ وجل تكون بالإخلاص لله تعالى، والتعبد له محبة وتعظيمًا، لأن الله عزَّ وجل يتعبد له العبد محبة، فيقوم بأوامره طالبًا للوصول إلى محبته عزَّ وجل وتعظيمًا، فينتهي عن محارمه خوفًا منه سبحانه وتعالى.

ومن النصيحة لله أن يكون الإنسان دائمًا ذاكرًا لربه، بقلبه ولسانه وجوارحه.

ومن النصيحة لله أن تكون غيرته لله فيغار لله عزَّ وجل إذا انتهكت محارمه كما كان النبيُّ ﷺ.

ومن النصيحة لله أن يذب عن دين الله تعالى الذي شرعه لعباده.

ومن النصيحة لله عزَّ وجل أن يكون باثًّا دين الله في عباد الله لأن هذا مقام الرسل كلهم، فهم دعاة إلى الله يدعون الناس إلى الله عزَّ وجل، كما قال الله تعالى عنهم، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ

---

١ - صحيح الترغيب : [٣٤٩٥].

٢ - متفق عليه : البخاري : [٥٧] باب قول النبي ﷺ « الدين النصيحة » ، ومسلم [٥٦].

٣ - صحيح الجامع : [٢٣٢٤].

٤ - [مسلم رقم ٥٥] في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة.

مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل:٣٦].

ومن النصيحة لكتاب الله أن يدافع الإنسان عنه، وينشر معناه بين المسلمين، المعنى الصحيح الموافق لظاهره، بحيث لايكون فيه تحريف ولاتغيير، فإذا جلس مجلسًا فإن من الخير والنصيحة لكتاب الله أن يأتي بآية من كتاب الله عزَّ وجل يبينها للناس ويوضح معناها، ولاسيما الآيات التى تكثر قراءتها بين المسلمين، مثل الفاتحة.

ومن النصيحة لكتاب الله أن تؤمن بأن الله تعالى تكلم بهذا القرآن حقيقة، وأنه كلامه عزَّ وجل. لفظًا ومعنىً تكلم به وتلقاه منه جبريل ثم نزل به على محمد ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ(١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وتأمل كيف قال : ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ مع أن الرسول ﷺ يسمعه بأذنيه، ولكن الأذن إن لم يصل مسموعها إلى القلب فإنه لا يستقر في النفس إلا ما وصل إلى القلب عن طريق الأذن.

ومن النصيحة لكتاب الله عزَّ وجل أن لا يضعه في موضع يمتهن فيه، ويكون وضعه فيه امتهانًا له، كمحل القاذورات وما أشبه ذلك، ولهذا يجب الحذر مما يصنعه بعض الصبيان إذا انتهوا من الدروس فى مدارسهم، ألقوا مقرراتهم والتي من بينها الأجزاء من المصحف في الطرقات وفي الزبالة أو ما أشبه ذلك والعياذ بالله.

[ولِرسُولِهِ]:

والنصيحة لرسول الله ﷺ تتضمن أشياء :

الأول : الإيمان التام برسالته وأن الله تعالى أرسله إلى جميع الخلق، عربهم وعجمهم، بل إنسهم وجنهم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ [النساء : ٧٩].

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] والآيات في هذه كثيرة، فيؤمن بأن محمدًا رسول الله إلى جميع الخلق من جنٍ وإنس.

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ : تصديق خبره، وأنه صادق مصدوق، صادق فيما يخبر به.

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ صدق الاتباع له، بحيث لاتتجاوز شريعته ولا تنقص عنها، فتجعله إمامك في جميع العبادات، فإن الرسول ﷺ هو إمام هذه الأمة وهو متبوعها.

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ الذب عن شريعته وحمايتها، فالذب عنها بأن لا ينتقصها أحد، والذب عنها بأن لا يزيد فيها أحد ما ليس منها.

ومن النصيحة للرسول ﷺ محبة أصحابه واحترامهم.

[وَلأَئمَّةِ المُسْلِمِينَ]:

الأئمة جمع إمام، والمراد بالإمام من يقتدى به ويؤتمر بأمره، وينقسم إلى قسمين : إمامة في الدين، وإمامة في السلطة.

فالإمامة في الدين: هي بيدي العلماء، فالعلماء هم أئمة الدين، الذين يقودون الناس لكتاب الله ويهدونهم إليه ويدلونهم على شريعة الله، قال الله تبارك وتعالى في دعاء عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤].

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤]

والنصح لأئمة المسلمين : أي إمامة الدين والعلم هو أن الإنسان يحرص على تلقي ماعندهم من العلم، فإنهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين أمته فيحرص على تلقي العلم عنهم بكل وسيلة.

والوسائل فى وقتنا ولله الحمد كثرت، من كتابة وتسجيل وتلقٍ وغير ذلك.

ومن النصح أيضًا لعلماء المسلمين أن لا يتبع الإنسان عوراتهم وزلاتهم وما يخطئون فيه، لأنهم غير معصومين، قد يزلون وقد يخطئون، و « **كلُّ بني آدَمَ خطّاءٌ، وخيْرُ الخطّائينَ التوَّابُونَ**» [(١)]

قال ﷺ: « **يامعشرَ من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوارتِهم، فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورتَه، وَمن تتبَّع اللهُ عورتَه، يفضحُه ولو في جوفِ بيته**» [(٢)]

هذا وهم مسلمون عامة فكيف بالعلماء ؟

إن الذين يلتقطون زلات العلماء ليشيعوها ليسوا مسيئين للعلماء شخصيًّا وحسب، بل مسيئون للعلماء شخصيًّا، ومسيئون إلى علمهم الذي يحملونه، ومسيئون إلى الشريعة التي تتلقى من جهتهم، لأن العلماء إذا لم يثق الناس فيهم، وإذا اطلعوا على عوراتهم التي قد لا تكون عورات إلا على حسب نظر هذا المغرض، فإنهم تقل ثقتهم بالعلماء وبما عندهم من العلم، فيكون في هذا جناية على الشرع الذي يحملونه من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

لذلك من نصيحتك لأئمة المسلمين من أهل العلم أن تدافع عن عوراتهم، وأن تسترها ما استطعت، وأن لا تسكت بل، نبه العالم، وابحث معه واسأله، ربما يُنقل عنه أشياء غير صحيحة.

وعلى كل حال فإنه يجب أن نحمي أعراض علمائنا، وأن ندافع عنهم وأن نلتمس العذر لأخطائهم، ولا يمنع هذا أن نتصل بهم، وأن نسألهم، وأن نبحث معهم، وأن نناقشهم حتى نكون مخلصين ناصحين لأئمة المسلمين.

---

١ - صحيح الجامع : [٤٥١٥]، والمشكاة : [٢٣٤١].

٢ - صحيح الجامع : [٧٩٨٤]، والمشكاة : [٥٠٤٤].

النوع الثاني: من أئمة المسلمين، أئمة السلطة وهم الأمراء.

والنصيحة لهم هي أن تكف عن مساوئهم، وأن لا تنشرها بين الناس، وأن نبذل لهم النصيحة ما استطعنا.

أما نشر مساوئهم فليس به عدوان شخصي عليهم فقط، بل هو عدوان شخصي عليهم وعلى الأمة جميعًا، لأن الأمة إذا امتلأت صدورها من الحقد على ولاة أمورها عصت الولاة، ونابذتهم، وحينئذ تحصل الفوضى ويسود الخوف ويزول الأمن، فإذا بقيت هيبة ولاة الأمور في الصدور صار لهم هيبة، وحميت أوامرهم ونظمهم التي لاتخالف الشريعة.

[وَعَامَّتِهِمْ]

والنصيحة لعامة المسلمين بأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وأن ترشدهم إلى الخير، وأن تهديهم إلى الحق إذا ضلوا عنه، وأن تذكرهم به إذا نسوه، وأن تجعلهم لك بمنزلة الأخوة.

وليُعلم أن النصيحة هي مخاطبة الإنسان سرًّا بينك وبينه، لأنك إذا نصحته سرًّا بينك وبينه أثرت في نفسه، وعلم أنك ناصح، لكن إذا تكلمت أمام الناس عليه فإنه لا يقبل النصيحة، وقد يظن أنك إنما تريد الانتقام منه وتوبيخه وحط منزلته بين الناس فلا يقبل، لكن إذا كان السر بينك وبينه صار له ميزانٌ كبيرٌ عنده وقيمة وَقبل منك.(١)

وصدق من قال :

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبي النصيحة في الجماعة

فإن النصح بينَ الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري فلا تغضبْ إذا لم تُعْطَ طاعةَ

*****

١ - بتصرف شرح رياض الصالحين ٤/ ٤٦٥ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى.

إحسان الظنّ

من الأسباب التي تجلبُ المحبةَ إحسانُ الظنّ بأخيك، وأن تحمل فعله على الحسن مهما أمكن.

قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢].

أمر الله تعالى باجتناب كثيرٍ من الظنِّ لأن بعضَ الظنِّ إثمٌ، فيجتنبُ الكثيرُ من أجلِ منعِ القليل.

وعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنّ أكذَبُ الحديث** »[1].

ذلك؛ لأن الظنونَ السيئةَ تنشأُ عنها المكايد والطعنُ فى الأنساب والأعراض، بسببها تُنصبُ حبالُ المكرِ وشباكِ الخديعةِ فتحصلُ الفرقةُ والشحناءُ.

فكم أدى سوءُ الظنِّ وعدمُ التثبيتِ في الأخبارِ إلى أهوالٍ مابعدها أهوالٌ. أُزهقتْ نفوسٌ، وضاعتْ أموالٌ، وتشتتْ أسرٌ، وخربتْ بيوتٌ، وقُطِّعتْ أرحامٌ. إن التعجلَ وعدَم التأني يُفسدُ على أهلِ العقولِ عقولَهم، ويذهبُ برويَّتهم وتفكيرهم، فيصبحُ العيشُ مريرًا، وتصبحُ الحياةُ سعيرًا.

لابد من التُّؤدةِ والثباتِ حتى لا تزلَّ قدمٌ بعد ثبوتِها.

وتنزلقَ في مجاهلِ الحوادثِ والأحداثِ قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات : ٦].

إن على الفردِ والجماعةِ وكلٍّ مسئول ألا يقبلوا ما يصلُ إليهم من أخبار أو يُصدِّقوا

---

١ - البخاري : [١٠/ ٤٠٤]، ومسلم : [٢٥٦٣].

الأقاويلَ في المؤمنين إلا بعد التثبيتِ والتبيُّنِ، وينبغي أن يسودَ حسنُ الظنِّ بالمؤمنين، والثقةُ بحسنِ نواياهم، وتغليبُ جانبِ الصدقِ في أقوالهم والخيرِ في تصرفاتهم، مادامتْ أحوالُهم الظاهرةُ مأمونةً، والمساوئُ مستورة.

فاحفظ يا أخي المسلمُ يدَك ولسانك وسائرَ جوارحك عن أذى الناس، ولاتَبعْ دينَك بعَرضٍ من الدنيا قليل، ولا تبغِ الفساد فى الأرض فتكنْ أفاكًا أثيمًا. كنْ مصدرَ خيرٍ ونفع وبر وإحسانٍ.

إن مجامعَ الأخلاقِ ولبَّ المحاسنِ أن يحبَّ المرءُ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه، والمؤمنُ يقولُ خيرًا أو ينمي خيرًا.

وقد قيل : من رُزقَ حياءً مع قلةِ أذى، وصلاحًا مع قلةِ كلامٍ، وعملاً مع قلةِ فضولٍ، فقد أُوتي محاسنَ الأخلاق.

وليكن حظُّ أخيك منك ثلاثًا :

إن لم تنفعْه فلا تضرَّه.

وإن لم تُفرِحْه فلا تَغمَّه.

وإن لم تمدْحه فلا تذمَّه.

وحسبك قول النبيّ ﷺ : « **المسْلِمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده** » [1]

وقوله ﷺ : « **المسلِم من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويَدِهِ، والمؤمن مَنْ أَمِنهُ الناسُ على دمائِهم وأَموالهم** » [2].

وقوله ﷺ : « **المسلمون تتكَافأُ دِماؤهمْ، يسعى بذمَّتهمْ أَدناهُمْ، وَيُجِيرُ عليهم أَقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم، يردُّ مُشِدُّهُم على مُضعَفِهِم، ومُسْرِعُهُم على قاعدهم،**

---

١ - صحيح الجامع : [٦٧٠٩].

٢ - صحيح الجامع : [٦٧١٠]، والمشكاة : [٣٣].

لايُقتَلُ مؤمنٌ بكافرٍ، ولا ذو عَهْدٍ في عَهدِه» [1].

وقوله ﷺ : « **لا تحاسدُوا، ولا تناجشُوا، ولا تباغضُوا ولا تدابروا، ولا يبعْ بعضكم على بيع بعضٍ، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لايظلِمُهُ، ولايخذُلُهُ، ولا يَحْقرُهُ، التَّقوى هاهُنا – ويُشير إلى صَدْرِه ثلاث مرات – بحْسبِ امرئ من الشَّرِّ أن يَحْقر أخاهُ المسلم، كُلُّ المُسلمِ على المُسْلمِ حَرَامٌ، دمُهُ، ومَالُه، وعِرْضُهُ»** [2].

ما أحوج المسلمين إلى وعي هذه الحقيقة، وتذكُّر هذه النصوص، والقيام بهذه الحقوق.

وعليه : فإن القاعدة الأصيلة بين المسلمين أن يسعوا في كل أمر يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويوحد رأيهم.

فمتى استشعر كل منا أنه أخٌ للناس وأنهم إخوانٌ له كما قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات : ١٠].

وقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات :١٣]

لزمه أن يحبّهم ويحبُّونه، ويصلهم ويصلونه، ويبرّهم ويبرّونه، ويؤثرهم ويؤثرونه، حين يسود هذا الشعورُ جميعَ المسلمين تُرفْرِف عليهم أعلامُ المحبة والوئام، والسلم والسلام، والأمن والأمان.

وحسب المسلم من حبِّ إخوانه له الثناء عليه بالخير في حياته وبعد مماته وهذا ينفعه بإذن الله تعالى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **أهلُ الجنَّةِ، منْ ملأ اللهُ تعالى أُذنيهِ منْ ثناءِ الناسِ خيرًا، وهوَ يسمعُ، وأهلُ النارِ منْ ملأ اللهُ تعالى أُذنيه منْ ثناء**

---

١ – صحيح الجامع : [٦٧١٢]، والإرواء : [٢٢٠٨].

٢ – مسلم : [١٩٨٦/ ٤]، وصحيح الجامع : [٧٢٤٢] والإرواء : [٢٤٥٠].

الناسِ شرًّا، وهو يسمع» [1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من عبدٍ إلا وله صيتٌ في السماءِ، فإن كان صيته في السماءِ حسنًا،وُضع في الأرض،وإن كان صيته في السماء سيِّئًا، وُضع في الأرض»** [2]

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال:

مُرَّ بجنازَةٍ فأُثْنِيَ عليها شرٌّ، فقالَ نبيُّ الله ﷺ:

« وَجَبَتْ، وجَبَتْ، وجَبَتْ».

ومُرَّ بجَنازَةٍ فأُثْنيَ عليها شرٌّ، فقالَ نبيُّ الله ﷺ:

« وجَبت، وجَبتْ، وجَبتْ» فقال عمرُ:

فداكَ أبي وأمي يارسولَ الله. مُرَّ بجَنازةٍ، فأُثني عليها خيرٌ، فقلتَ: «وجَبت، وجَبتْ، وجَبتْ» ومُرَّ بجنازَةٍ فأُثْنِيَ عليها شَرٌّ، فقلتَ: « وجَبت، وجَبتْ، وجَبتْ» فقال رسولُ الله ﷺ: « **مَنْ أثْنَيْتُم عليه خَيرًا وجَبتْ لَهُ الجنَّةُ، ومَنْ أثْنَيْتُم عليه شرًّا وجَبتْ له النارُ، أَنْتُمْ شُهداءُ الله في الأرض»** [3].

وعن أنسٍ رضي الله عنه،أن النبي ﷺ قال: « **ما مِنْ مُسلمٍ يموتُ فيَشْهَدُ له أرْبَعةُ أَهْلِ أَبْياتٍ مِنْ جِيرانِه الأَدْنَيِينَ أنّهم لا يعلَمون إلا خيرًا، إلا قالَ الله: قد قبِلْتُ عِلْمَكُم فيه، وغفَرْتُ له ما لا تعلمون»** [4].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا دُعِيَ إلى جَنازَةٍ سأَل عنْها؟ فإنْ أُثْنِيَ عليها خيرٌ قامَ فصَلى عليها، وإنْ أُثنيَ عليها غيرُ ذلك قال لأهليها: «

---

١ - صحيح الجامع: [٢٥٢٧]، والصحيحة: [١٧٤٠].

٢ - صحيح الجامع: [٥٧٣٢]، والصحيحة: [٢٢٧٥].

٣ - متفق عليه: البخاري: [١٣٦٧] باب ثناء الناس على الميت، ومسلم: [٩٤٩] باب فيمن يثني على خير أو شر من الموتى.

٤ - صحيح الترغيب: [٣٥١٥].

شأْنُكُمْ بِها»[١] ولَمْ يُصَلِّ عليها.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رجل للنبيِّ ﷺ: يارسول الله: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو إذا أسأت؟ فقال النبيُّ ﷺ: « **إذا سمعتَ جيرانَكَ يقولونَ: قد أحسنْتَ، فقدْ أحسنْتَ، وإذا سمعتَهُمْ يقولُونَ: قد أسأْتَ، فقد أسأْتَ**»[٢]

فحب الناس للعبد، وثناؤهم عليه بالخير عاجل بشرى المؤمن في الدنيا.

وعليه: فيجب على كل واحد منا أن ينظرَ في نفسه أين هو من حبِّ الناس له أو بغضهم؟، وأين هو من ثنائهم عليه بالخير أو ذمهم؟.

جعلنا الله من المتحابين فيه، ورزقنا محبة المؤمنين والقيام بحقوقهم كما أسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يُحْسن ختامي، وختامَ ذريتي، وأقاربي، وأحبابي في الله حيثما كانوا، وأن يدخلنا جميعًا الجنَّةَ بسلام ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَآئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

عبده بن أحمد الأقرع

١ - صحيح الترغيب: [٣٥١٧].

٢ - صحيح الجامع: [٦١٠]، والمشكاة: [٤٩٨٨]، والصحيحة: [١٣٢٧].

فهرست الموضوعات